كناية الديالكتيك
نزهة ثانية في المعرفة

كناية الديالكتيك
نزهة ثانية في المعرفة

مقداد مسعود

تصميم الغلاف:
الطبعة الأولى 2023

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أونقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق

All rights reserved, is not entitled to any person or institution or entity reissue of this book, or part thereof, or transmitted in any form or mode of modes of transmission of information, whether electronic or mechanical, including photocopying, recording, or storage and retrieval, without written permission from the rights holders

توزيع دار الرافدين ـ بيروت

دار المكتبة الاهلية ـ نشر ـ توزيع
العراق ـ البصرة ـ البصرة القديمة
المكتبة الأهلية أسست عام ١٩٢٨ م
جوال: ٠٧٧٠٣١٠٣٠٠٥
٠٧٨٠١٣٩١٨٣٠
mustafaalziyyir@yahoo.com

هام: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN:

كناية الديالكتيك

نزهة ثانية في المعرفة

مقداد مسعود

دار المكتبة الاهلية
(نشر- توزيع) العراق - بصرة

الفهرس

منصات المعرفة 9
خُطبة الديالكتيك الأخلاق في غفوتها/ قراءة مجاورة 15
(الأخلاق في عصر الحداثة السائلة) للمفكر البولندي زيغمونت باومان 15
أميل سيوران... التخصص في العواء وحياكة الجليد 23
إفلاطون..... بعيدا عن كهفه 35
الا نحلال الاحتمالي للمعنى الأول في المعنى الاخر.. قراءة مجاورة/
قراءة متسائلة 47
في.....حماية هيغل.. 71
الفلسفة كتوقيع 85
المجرى وضمان التأثير (بعد طول تأمل) للفيلسوف بول ريكور 97
من خلال الفيلسوف لفيناس.. 115
كناية الديالكتيك.. 125

إلى طفلٍ..

يحرضني ضد تجاعيد ذاكرتي وروحي

منصات المعرفة

* خطبة الديالكتيك

*زغيمونت باومان والأخلاق في غفوتها.

*أميل سيوران والتخصص في العواء

*أفلاطون بعيدا عن كهفه..

*الانحلال الاحتمالي

*في حماية هيغل..

*الفلسفة كتوقيع/ كارل ياسبرز

*االمجرى وضمان التأثير

*من خلال لفيناس

*كناية الديالكتيك..

خُطبة الديالكتيك

خُطبة كتابي وجيزةٌ وتكسرُ النسق المعتاد. لا أريدُ في هذا الحيز: غواية القارئ..

ذلك لأن قارئي وأنا: تعارفنا منذ سنوات، من خلال مؤلفاتي والمواقع الثقافية التي تُنشر فيها كتاباتي. ولهذا للقارئ: حرية التحاور المتجدد مع فصول (كناية الديالكتيك): حسب مشيئة التلقي لديه..

(*)

تمنيت أن يصدر كتابي هذا، مع كتابي (زيادة معنى العالم) الصادر عن دارضفاف في 2014، لكن أسباب بريئة، حالت دون ذلك. وأثناء التأجيل، عدت للعمل مجدداً على (كناية الديالكتيك): حذفتُ، وغيرتُ، وجددتُ، صياغةَ معظم الوحدات السردية، وتزودتُ بمصادرَ جديدةٍ، وأثناء ذلك، ما توقفتُ عن اصدار خطواتي الشعرية، ولا.. عن نزهتي المعرفية الثالثة مع رؤى مجموعة من المفكرين العرب

(*)

في هذه النزهة ما تجردتُ من الشاعر الذي أتوهمني، فأنا لستُ من الباحثين الأكاديميين، ولا أريد أن أكون. ما أكتبه سرداً، لا أجرّدهُ من الشعرية، وما أكتبه لا أقيّده بمنهجٍ علمي معيّن، أرى أن كل المناهج تنمّطُ بحوثا، وتمنحها وجها واحداً يتكرر في كل المرايا.

(*)

قراءتي تغترف من خبرتي في الحياة والكتب.. ومن المؤكد أنني قلما أكون على يقين مطلق. ربما بسبب ولعي بذلك الغيّ الجميل.

(*)

لا أكتبُ إلاّ عن كتبٍ وهبتني مصابيح وجعلت راحة يدي تنوش لتمسح نوافذ تضببت بسبب سوء فهم بعضنا للأشياء وللآخر الذي علينا أن نكتمل معه تحاوريا

(*)

كتبٌ أوصلتْ كينونتي لهدوء المؤتلف المثمر لذا عليّ أن أعترفُ أن المصابيح اليدوية التي في حوزتي، هي من ثمرات قراءتي المنتجة لأشجار الذين يسعون بكل جدية الفلاّح وشغفه بالحراثة.

(*)

المشترك المعرفي بين مقالات (كناية الديالكتيك) هو: سؤال المعنى وفيوضاته المتسايلة من منظورات متعددة، لا تتماثل بل تتجاور في التقرب من تناول العالم معرفيا: بطريقة تجعله ينقلنا من الحيز إلى الفضاء

(*)

صيروا عالمنا حيزاً، بسبب ما يجري فيه مِن فتك بالإنسان والثروات الطبيعية والحيوانية وهؤلاء المفكرون الذين حضروا في (كناية الديالكتيك) هم مِن الذين ينتجون:الحزام الأخضر الذي يريدونه درعاً لأمنا الرحيمة/ المسلوبة: الأرض.

(*)

كناية الديالكتيك: يتحاور مع كتب لمفكرين، ساهموا بزيادة معنى العالم، وهم ينتجون أسئلةً تفعل حراثةً جديدةً لواقع يتغير بسرعاتٍ دؤوبةٍ

(*)

محاولتي/ نزهتي هذه: ترى أن السؤال الأكبر في لحظتنا هو: هل للأخلاق فرصة في عالم استهلاكي؟ وأين تتجسد هذه الفرصة؟ إذا كان هناك مَن يرى: التاريخ له مجرى وليس له معنى

(*)

كلنا نبحثُ عن المعنى: معنى الوجود والانوجاد والفرق بينهما ومن حقي كقارئ أقول: هل نكتفي بتأمل الأمل؟ أم نقوم بحراثة أيامنا؟ ومتى نحصل على حلمٍ يليق بمستقبل الورثة المتمردين علينا وعلى أنفسهم؟ على هذا السؤال وعلى مشتقاته: تبدأ نزهتي المعرفية الثانية

24 تشرين الأول 2020

إبريهة/البصرة

الأخلاق في غفوتها/قراءة مجاورة

(الأخلاق في عصر الحداثة السائلة) للمفكر البولندي زيغمونت باومان

أهم ما في مقدمة الكتاب أن المترجمين: سعد البازعي وبثينة الإبراهيم يخبران القارئ، حول منزلة المفكر البولندي باومان وزمن كتابة هذا الكتاب هو العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وبشهادة المترجمين حول أطروحات باومان فهي (بقدر ما تساعدنا على فهم عالمنا المعاصر فإنها تحرضنا على زيادة التفكير في متغيراته ومآلاته بحيث لا نتعامل معها على طريقة القص واللصق وإنما التنبه والاكتشاف والتحليل على النحو الذي يؤدي إلى فهم أفضل بعمقه واتساعه ودقته../ 12)..ربما حسب هذا التعامل سنتخلص من الدوكماتزم ـ الجمود العقائدي ـ في التطبيق. لذا آثرتُ كقارئ نوعي أن تكون قراءتي لهذا الكتاب الضروري بالتجاور وليس بالتعقيب، فهو من الكتب التي تنتج الأسئلة الشهية للمعرفة..كما أعادتني أطروحات باومان إلى (الحداثة وما بعدها) لدى الفيلسوف ريتشارد ورتي..فهو أيضا يشتغل على مزيج من الأدب والفنون..ويتناول الفلسفة بخطاب لا فلسفي..ومشوّق جدا..وباومان من خلال كتابه يقتسم دعوة روتي في (فلسفة تدعو إلى تجاوز الحدود المعرفية المصطنعة والتي وضعت باسم العلموية أو باسم الموضوعية أو باسم الصرامة

المنهجية..) وكلاهما يدعو إلى تفهم الآخر: فضمن (يوتوبيا روتي: إدماج الآخر وحقوق الأجنبي/ 183) وباومان يتناول الموضوعة ذاتها متنقلاً من ظاهراتية هوسرل إلى إطروحات تلميذه ليفيناس حول الآخر والغيرية.. إلخ.. وريتشارد روتي يأخذ بمفاهيم الفيلسوف جان فرانسوا ليوتار ويعتبر كل من نيتشة وهيدجر صديقين يستعين بهما في مشروعه النقدي.. لكنه يخشى على لغته ومفاهيمه من هؤلاء الثلاثة لذا (يحتفظ بهم في البيت../ 85 ـ ما بعد الفلسفة ـ مطارحات روتية ـ د. محمد جديدي..).. ولكنه متمسك حداثيا بأطروحات هابرماس الكونية، في حين علاقته مع ما بعد الحداثة بجان فرانسوا ليوتار../ 207 ـ محمد جديدي..

(*)

للكتاب عنوان عربي (الأخلاق في عصر الحداثة السائلة).. شخصيا أراه عنوانا صادما وجديدا وجميلا، ويعيدني إلى عنوان (الحداثة الممكنة) للناقدة والروائية رضوى عاشور ـ طيّب الله ثراها ـ وبخصوص أي عنوان، فالعنوان هو (ثريا النص) كما أعلنها المطوّب ثلاثا أستاذنا الأديب العراقي البصري محمود عبد الوهاب.أما العنوان الذي وضعه المفكر بولمان لكتابه فهو (هل للأخلاق فرصة في عالم استهلاكي؟) هذا العنوان لا يجذب القارئ النوعي العربي؟! وهو أقرب إلى العنوان الذرائعي للكتاب..وصياغته كسؤال، يعني أن الكتاب كله بمثابة إجابات متنوعة على هذا السؤال الميداني الذي يشتغل على اتصالية التضاد بين القيم الاجتماعية: الأخلاق..والسوق المشروطة بالعرض والطلب.وبين قوس الأخلاق وقوس الاستهلاك، علينا البحث عن موضع ينبجس منه ذلك الحيز الذي اسمه: فرصة.. نعم عنوان الكتاب بصيغة سؤال رئيس:

يحتوي في نسيجهِ منظومة أسئلة ستجيب عليها صفحات الكتاب، فالمفكر باومان لا يقترح حلولا تنقذنا من متاهة عالمنا الذي استحال (إلى حكايات منفصلة../ 18) فهو حسب ما يخبرنا (أتساءل عن الكيفية التي يحتمل أن تتشكل بها تلك المتاهات..وأية أسئلة نحتاج إلى طرحها إن كنا سنكتشفها..) والأسئلة التي نحتاجها هي بدورها في عوز مناعي!! أعني انها تحتاج (شبكة مفاهيم) جديدة وبشهادة باومان (العديد من المفاهيم والكلمات التي قصد منها التعبير عما نعنيه لأنفسنا وللآخرين تثبت الآن أنها غير مناسبة لذلك الغرض..) وهذه الشبكة الجديدة ضرورة لا فكاك منها فقد (تفتت مركزية المركز، والروابط بين المدارات المتصلة ببعضها انقطعت، ربما إلى الأبد../ 29)..هنا ستكون المفهومات السابقة: مصدات كونكريتية أمام استيعاب المتغيرات المتسارعة: تفتيت المركز أدى إلى تأثيل مراكز متنوعة، اختلفت تنضيدات السلالم الهرمية والأولويات والثانويات..وهكذا حل مفهوم (الشبكة) وتراجعات مفهومات: أنظمة ـ بنى ـ مجتمعات ـ تجمعات..إلخ../ 30... وفي هذا الصدد أيضا يرى المفكر المصري سمير أمين (...لكل مصطلح تاريخه.ومن المهم معرفة هذا التاريخ لإدراك مضمونه المحدد بالمرجعية النظرية للمؤلف، وكذلك بالظروف التي أحاطت اختراعه ولعل هذه الظروف تتغير فيفقد المصطلح صلاحيته/ 121 ـ في نقد الخطاب العربي الراهن ـ ط1 ـ دار العين للنشر ـ القاهرة ـ 2010)

(*)

عنوان باومان (هل للأخلاق فرصة في عالم استهلاكي) بمثابة صوت الأخلاق وهي تستغيث من قسوة الاستهلاك، التي اصبحت تهددها

بالانقراض الوشيك كما حدث في القرن التاسع عشر حيث أصبح (البناء الاجتماعي مهددا بالتقدم العلمي وبنتائج الثورة الصناعية ../ دلتاي وفلسفة الحياة) ومثلما صاغ باومان صرخته الفلسفية عنوانا لكتابه: هل للأخلاق فرصة في عالم استهلاكي..فقد صرخ الفيلسوفان رسكن وموريس (كيف يمكن للحياة أن تستحق العيش في العالم الجديد للعلم والآلة؟/ 11) الفيلسوف دلتاي(1833 ـ 1911) لم يكتف بالمساءلة بل صاغ مفتاحا شاملا أسمه (الفهم) فهو يرى (المشكلة الحيوية هي مشكلة الفهم أو معرفة العالم البشري أو معرفة الحقيقة التاريخية الاجتماعية) فاشتغل على (الذات العارفة) وهو المنجز الفلسفي المؤثل من ديكارت وصولا إلى عمانوئيل كانت، لكنه تجنب التفكير المحض وتعرّف إلى العالم: (بواسطة مشاعرنا وعن طريق انطباعاتنا الحسية وعن طريق التفكير) فالموضوع الرئيس لدى دلتاي هو الموجود الكلي المحاط بظروف اجتماعية وتاريخية..) وهنا سنتوصل إلى المشترك المعرفي بين باومان ولفيناس وروتي ودلتاي، لأن دلتاي (لا يدرك موضوعات فحسب، بل يعرفها ويقيمّها عن طريق مفاهيم أيضا)..إذن المشترك هو صياغة مفاهيم تنضد المعرفيات بالشكل المطلوب، فالفيلسوف دلتاي يرى أن هدف الابستمولوجيا يشكل (البحث في طبيعة وأساس الفهم جزءا كبيرا من المبحث) والتقرب بين دلتاي وباومان يتضح من قول دلتاي التالي» الحياة هي الواقعة الأساسية التي يجب أن تكون نقطة البداية الفلسفية «

(*)

سنعرف أن باومان يتخلى عن تلك المفهومة المستهلكة: الحداثة وما بعد الحداثة، ويجترح مفهوميّ الحداثة الصلبة/ الحداثة السائلة.. وهذا

التوصيف سوف (يستدعي الكثير من المراجعة لما تواضع عليه الباحثون والمثقفون العرب المتابعون لتلكما القضيتين الكبيرتين في عصرنا الذي هو بالفعل عصر الحداثة السائلة مثلما أنه عالمها../ 14 ـ مقدمة المترجمين).. وهذا التخلي يعلنه أيضا الفيلسوف آلان تورين في كتابه (نقد الحداثة) فهو يرى في ظل علم الاجتماع الجديد ان من الضروري تجاوز ذلك التضاد بين ماكس فيبر وكارل ماركس، فهذا التضاد كان بتوقيت تلك المرحلة الصناعية آنذاك لذا فإن تلك المفاهيم انهارت من جراء علم الاجتماع الجديد.

(*)

مع السطر الأول من الكتاب يزجني المفكر كرها في حربٍ فكريةٍ أنا القارئ الذي داسته حروبٌ مدبلجةٌ للهجتنا العراقية ومصنّعة هذه الدبلجة هناك: لتبث هنا: لنا/ علينا !! فالمفكر باومان يعلن (هذا الكتاب تقرير من أرض المعركة ـ الأرض التي نناضل عليها من أجل العثور على الطرق الجديدة والمناسبة من التفكير في، وحول، ومن أجل العالم الذي نعيش فيه ومن أجل حيواتنا في هذا العالم../ 17).. بخصوص مفهومه للهويات فهو مشروط بقيمتين مركزيتين: الحرية/ الأمن وتكمن الصعوبة في التوفيق/ التوافق بينهما، أحيانا تأتي الحرية عاريةً مِن الأمن أو يأتي الأمن مقيدا للحرية!! ولا حل لدى باومان سوى حركية البندول (يمكننا أن نسير في حركة تشبه حركة بندول الساعة: أولا وباندفاع وحماسة نحو أحدى القيمتين وبعد ذلك نميل بعيدا عنها تجاه الأخرى وبسبب حاجة المواطن إلى الأمن سيقوم شخصيا بثلم أطراف حرياته ليكون محصنا ضد التهديدات والتفجيرات والخطف والسلب والنهب وهنا (يتشكل

الرابط بين السلطة السياسية المعاصرة والأفراد، ويُطالب بالتفاهم المتبادل والإجراءات المنسقة) ..شخصيا لا أمتلك هذه المخيلة الأخلاقية البندولية التي يقترحها باومان وهذا التوافق: نظرية رمادية اللون فالكفتان: الحرية والأمن: لا تنتسبان للأواني المستطرقة..؟! كما أن الهوية هي أكثر الأشياء عرضة لصعوبة التحديد وأكثر الأشياء تشظية..إذا كانت الهوية عينا ترى الكائنات والأشياء فكيف للعين أن ترى عينها..؟! هنا هل تتحول الهوية إلى مرآة تبصر العين من خلالها عينها وهنا على العين أن تتجنب المرايا المقعرة والمحدبة..لكن في المرايا المستوية هل سوف ترى العين عينها فقط؟ أم الوجه كله والجسد..وربما الأجساد والأشياء..وهكذا سيكون في حيازة العين: هوية عينها وحزمة من الهويات الأخرى لسواها..وهل الهوية مشروطة بدون قيد مع الذاكرة الجمعية أليس علينا تجفيف الهوية من منابع الخلايا النائمة في ماضينا؟ حتى لا تجيّش الجيوش وتفخخ شوارعنا باسم الشيعة والسنة في عراقنا أو تسبى الأيزيديات وتهدد العوائل لأنها مسيحية!! يشترط باومان (إن نجاح أو فشل معركة يعتمد على السعي إلى الإبقاء على الذاكرة حية../ 128)..

ثم يستدرك (الذاكرة نعمة مخلوطة)..في مجتمعنا الإسلامي ذاكرة إثنية فهي حية وقابلة للتفخيخ على الهوية بتوقيت دول الجوار..وسيتسابق الطرفان على تنفيذ النصيحة الدمائية (أن تريق الدماء مقابل إراقة الدماء../ 140)..

(*)

لا يكفي أن نكون مع سوانا بل من الضروري أن نكون من أجل سوانا والفرق بين (مع) و(من أجل) هو الفرق بين فيلسوفين (هيدجر)

و (لفيناس)..والسؤال هنا: كيفية القبض على سجايا السلوك البري الذي لم تلوثه (المنتجات الاجتماعية المعاد تدويرها/ 64)؟! لكنني سأجد كل دفء المعية، في (من أجل) والدفء يتجسد بتكريس ذاتي أنا، لغيرية الآخر والتي (لا يمكن إنقاصها والتي توقظ الذات لترى مسؤولياتها الفريدة../ 65).. وهكذا نكون أنا وآخري ـ بشهادة ليفناس ـ في حفلة أخلاقية لشخصين..(نصل أنا والآخر بدون أغطيتنا الاجتماعية مجردين من المكانة، والمميزات الاجتماعية، ومن هوياتنا أو أدوارنا المصطنعة أو المفروضة اجتماعيا../ 67).. لكن هذه الحفلة الأخلاقية حصريا لاثنين فقط.. فالثالث سيكون طنين ذباب..ولفيناس حتى في هذه الحفلة الأخلاقية يجري تمايزا كالتالي (المسؤولية شأني أنا. التبادلية شأنه هو/ 72)

والسؤال التالي هو: لماذا العقول الكبرى المفكرة بمصائر البشرية اتفقت على القيد الرئيس، أعني ضرورة تحشية القواعد المعيارية الضرورية بالقسر الاجتماعي؟ هل بهذه الطريقة فقط يمكن تخليص البشرية من (حرب الكل ضد الكل).. وهاهي الحرب الكلية تجدد شبابها فينا وهي مستقوية بقمع الحكومات لشعوبها وبالتشدد الأصولي للمتأسلمين وما تضخه دول الاقتصاد الريعي لداعش وأخواتها..وأمركت الحكومات إسلاماً برعاية آخر الصحابة ترامب وهنا أقترض من باومان وأشهد أن (العالم اليوم يتآمر ضد الثقة../ 92) فما الفائدة من ثقة تتدفق بوصفها التمظهر الأكبر للحياة (ولكن ما إن تنطلق حتى تبحث من دون جدوى عن مكان تتمسك به)..

(*)

بخصوص تحويل كرتنا الأرضية إلى قرية إلكترونية: علينا أن نتوقف عند هذه الفقاعة فالعولمة تتقدم بجهوية واحدة فقط (تجريد الدول من القوة وغياب أي بديل مؤثر../ 102).. فالشبكة التي نشرتها العولمة لا تختلف عن شبكة الصيد!! فهي غير معنية بثقافة عالمية أو نظام اجتماعي عالمي يحتوي (كليات تنّسق أو توائم أو تكيف كل وجوه الوجود الإنساني ـ وبشكل خاص الآليات الاقتصادية والقوة السياسية والأنماط السياسية../ 103)..إيتالو كالفينو الذي ادهشنا بسردياته المتمردة على الانساق النمطية في التروية سيقولها في (مدن لامرئية) وتحديدا في مفصل مدن ورغبة (الجحيم هي موجود مسبقا هنا، الجحيم التي نعيش كل يوم، التي نشكلها بكوننا معا../ 108)..

(*)

يسهب الكتاب في الكلام عن (الهولوكست) المحرقة التي أبادت فيها النازية: العوائل اليهودية.. ثم يشتغل لغويا على المفردة والتي تعني توراتياً (الأضحية) ثم يقوم بتصحيح المفهوم بمفهوم آخر بشهادة جورجيو أغامبن وهو (هومو ساكر) والذي يعني (من يمكن قتله من دون التضحية به. موت الهومو ساكر مفرغ من المغزى الديني../ 119)..

لكن متى/ ومَن سيتحدث عن جرائم داعش في العراق؟ أي مفكر عربي لم تنعس أخلاقه أزاء ما يجري من تقتيل وتدمير حياة العراقيات والعراقيين.؟!

*المقالة منشورة في (طريق الشعب) 13/ 6/ 2017

*زيغمونت باومان/ الأخلاق في عصر الثقافة السائلة/ ترجمة: سعد البازعي ـ بثينة الإبراهيم/ هيأة أبو ظبي للسياحة والثقافة/ كلمة ـ 2016

أميل سيوران...

التخصص في العواء وحياكة الجليد

رومانيا.. لم تخمد جذوتها، يكفيها فخراً أنها أنجبت أوجين يونسكو

مرسيا أليياد..... كونتستان جورجيو.... مارين سوريسكو...ميرسيا دينسكو...وأنجبت أميل سيوران....

(*)

منتصف ثمانينيات القرن الماضي، توقفت قراءتي عميقا في مستطيل: نهاية إحدى صفحات مجلة العربي الكويتية..، ثم تلاشت من ذاكرتي الأقوال المأثورة المثبتة في المستطيل.. لكن مقولة واحدة، التقطتها ذاكرتي وما تزال (أحلم بعالمٍ نموت فيه من أجل فارزة)..لم أنقل حلم سيوران إلى دفتري.. تأملتُ في المقولة..كأنني أحاول أن أتذكرها، ثم التقطتها بأناملي.. ترفقت في تقليبها كأيقونة نادرة، فإذا بها تستحيل غرسة وتستقر في حقل ذاكرتي لم يقف الأمر عند هذا الحد.. تلقائيا بدأت استجابتي تتعلق بهذه المقولة التي قرأتها في زمن لا حد لشراسته عراقيا 1985 تماهيتُ في إصرار سيوران في تحديه، لطغيان جاوجسكو..من يومها، صرتُ أتعقب عطر سيوران، فجمعتُ قصاصات جرائد..مجلات، أسطر في مجلات دورية..يرد فيها اسم سيوران..شذرة منه، عرض أحد كتبه...إلخ

(*)

2005عثرتُ على مفتاح شفرة..(أحلم بعالم نموتُ فيه من أجل فارزة)..والأصح، لم أعثر...سيوران بجنونه الناصع وعطرهِ الأسود.. وهبني مفتاحا من فضة وأنا بدوري جعلته في متناول القراء..(لا يعتني بالأمثال والأقوال المأثورة إلاّ مَن عرف الرعب وسط الكلمات، والفزع من التداعي مع جميع الكلمات/ ص29/ سيوران/ المياه كلها بلون الغرق)..إذن الحلم بالموت ليس حلما نهلستي المذاق، بل طموح حياة بالدفاع عن أدق أمورها: (فارزة)..

(*)

حين أقلّب مفردة (فارزة) اراها مكتنزة بتأويلات خصبة، أما على مستوى المعجم، فهي الفاصلة النحيلة في التنضيد الطباعي، لها أهميتها في حيز حرية النص، وحين أترجم الفاصلة عربيا فهي (الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في العقد..) وعلى المستوى الرقمي، الفاصلة هي (العلامة في الكسور العشرية، تكتب بين الكسر والعدد/ ص 698/ ج2/ المعجم المتوسط)

(*)

علاماتيا يمكن أن أرى في الفارزة: حدا يشير إلى المختلف، وهذا يعني أن الموت مِن أجل فارزة، هو السعي نحو التفرد، لصيانة الخاص، على المستوى النفسي، عرفتُ سبب تعلقي بمقولة أو بشذرة الفارزة.فأنا كعراقي يوم اكتشافي لسيوران من خلال شذرته: كنت عراقيا مطاردا مثل ملايين العراقيين في الداخل لتهمة مزدوجة: عسكرية +سياسة..(لا يعتني بالأمثال والأقوال المأثورة إلا مَن عرف الرعب وسط الكلمات) والرعب العراقي متنوع يومها..وله رعبه وسط الكلمات، رعب ما قبل العقد الثامن

من القرن، لنتوقف عند هذا المقطع من كلام طاغية العراق لمنتسبي وزارة الشباب في كانون الثاني 1979 (**يجب أن لا نترك الأب والأم يسيطران على البيت، إنما نجعل الصغير مركز إشعاع فاعل داخل العائلة، لخلق نمط جديد من العلاقات..وأن تضعوا في كل زاوية ابنا للثورة يأخذ تعليماته من مركز الثورة المسؤول وعينا أمينة لها، عليكم بتطويق الكبار عن طريق أبنائهم**/ ص58/ زهير الجزائري/ المستبد:صناعة قائد ـ صناعة شعب).. لنتمعن في ما بين القوسين..كيف تحرّض السلطة سلطتها، **لتفرز** سلطويا بين أفراد العائلة العراقية الواحدة، تعلق دور الوالدين وتعطي السلطة كلها لمن هو دون سن التكليف ب(جعل الصغير) مالك قيمومة مطلقة على العائلة، فهذا الصغير لا يحتاج تربية من والديه بل هو في مسيس الحاجة إلى..(تعليماته من مركز الثورة)...!!

(*)

هكذا تجتث السلطة: من العائلة: فارزتها/ خصوصيتها: حقها في الاختيار الاجتماعي، أن السلطة تجتث الفاصلة...يعقبه فورا زراعة بديل صناعي، أعني فارزة السلطة في العائلة، وهنا يحدث انفصام لدى صغير العائلة، صار الأب القائد: أباه.. وسيحب عائلته بوزن ولائهم للأب القائد* من فارزة السلطة التي حذفت فارزة العائلة..سيتغذى الطغاة تغذيةً تجدد أعمارهم وتعاستنا، لذا يكون الخلاص منهم ناقص المذاق..(كفوا عن محادثتنا في شأن الشعوب المستعبدة ورغبتها في الحرية.الطغاة يقتلون دائما بعد فوات الأوان، وذلك عذرهم الكبير/ ص158/ ...بلون الغرق).. وأعود لمساءلتي:.هل موتنا من أجل فارزة: محاولة عقل بري للعودة (الى تلك العصور حين لا مفردة تعوق الكائنات، العودة إلى اقتضاب

الصيحة وفردوس البلادة وذاك الذهول الفَرِح لما قبل اللغة ص29/ ... بلون الغرق)..وحين تستحيل تلك العودة، سيكون الحلم مصنّعاً لإنتاج فارزة لكن سنكتشفه معلقا تعليقا فينيوميولوجيا فحركة الحلم في المكان وليس تجاوزا له..انها مراوحة..لم تتحول هرولة..(حلمتَ بإحراق الكون ولم تسطع أن تُعدي بنارك حتى الكلمات ولا أن تشعل كلمة واحدة/ 105)..وهناك محاولة للتخلص من الفارزة البيولوجية السالبة.. (الضعاف بيولوجيا لا يجدون أي متعة في الحياة، لذلك يحاولون تغيير شروطها/ 161)

(*)

الفارزة: فاصلة، تقودنا إلى الانفصال ومن الانفصال الكوني إلى انفصال بشر أرضي..(لا شيء يعزّيني في كوني لم أشهد لحظة انفصال الأرض عن الشمس، سوى توقعي أنّي سأشهد لحظة انفصال البشر عن الأرض/ ص165)..**هذه النبوءة شاهدتها فيلما أجنبيا، آخر مشاهدة لي في 2013/8/22 من أحدى الفضائيات يهبط الأرض رجل بمثابة مندوب من إحد الكواكب، تسأله بطلة الفيلم: هل ستقومون بإنقاذنا؟ يجيبها الكائن القادم من الكواكب: لا.. جئنا ننقذ الأرض من البشر..) وحين تتوسل البطلة بضرورة منح البشر فرصة أخيرة، يجيبها الكائن الكوكبي: انتظرناكم مئات السنوات لتعاملوا الأرض برفق، لكنكم خيبتم آمالنا...)**..

(*)

كإنسان أراني بين عقلين، عقل يعي وعقل يعي أنه يعي، العقل الأول عقل الحواس الذي من خلاله ندرك المرئي بتنوعاته.. أما العقل الثاني فهو المنشغل بالماورائيات، والعقلان يتداخلان في ضفيرة واحدة.. ومن

خلالهما:أفعّلُ اتصاليات المرئي/ اللامرئي...وإذا كانت الفلسفة فاعلية تعمير الفكر، عبر منظومة ومذهب فلسفي فإن سيوران يتفلسف خارج هذه العمارة الفكرية..(إن أدنى قدر من الحكمة سيجبرنا آنذاك على مساندة النظريات كلها في الوقت نفسه، بانتقائية السخرية والتخريب/ ص33) لا يكتفي سيوران بذلك فهو يرى أن للوعي واجباً..(..الوصول إلى يأس لائق إلى شراسة أولمبية/ ص52)

(*)

أرى سيوران وريثا شعريا لفلسفة نيتشة.. يغرس ريشته في محبرة نيتشة، ليرسم قلبه هو لا قلب نيتشة فهو يفكر بتوقيت نبضات قلبه هو، أعني ثمة مختلف بين نيتشة وسيوران، مختلف بكثافة **فاصلة**..وإذا كان نيتشة يهزأ بسقراط..فإن سيوران يرى سذاجة نيتشة كلها في مقولته (ما بعد الخير والشر) والسذاجة النيتشوية لا تعي: (الإنسان لم يتهيأ بعد لمرحلة ما بعد المانوية لما تتطلبه من وعي وإدراك يكادان يخرجان الإنسان من التاريخ ذاته/ ص10/ تاريخ ويوتوبيا)..ولا يخلو سيوران من كونفوشيس، في قوله..(هذا العالم لا يستحق أن نعرفه/ ص55) أما كونفوشيوس فيقول (حمدا لله أنني لستُ خالق هذا العالم إن منظر هذا العالم وحده يقززني).. وإذا كان نيتشة يصرخ في أول سطر من (هكذا تكلم زرادشت)..(كتاب للجميع ولغير أحد)فإن سيوران يعلن أن **الكتب التي تستحق التأليف، تشترط مؤلفين لا يفكرون بقرّاء**، وسبب هذه المشروطية..هو تحرير المؤلف من أحلام القراء حتى لا يخسر نفسه وحريته في الحلم والكتابة خارج أنظمة السلوك الجمعي..

(*)

كتابة سيوران هي محاولة في اللاكتابة..وهنا يقفز إلى ذهني النفري في قوله..(ألاّ تكتب وأنت تكتب)..وكلاهما يطالب بكتابة جامحة ضد النسق المؤيد من قبل الجمهور..

(*)

من يقرأ سيوران: لا ينال كرسيا هزازا ولا وسادة ناعمة تجلب النوم المحلوم بأقواس قزح، كل ما يحصل القارئ عليه حزمة تساؤلات سيحاول التواصل عبر إجابات مبتورة أو أجوبة متسائلة بدورها، تقودنا للبحث عن الهوية أو للتحاور مع الغرب كحضارة وليس كإستعمار (لماذا ننسحب ونغادر اللعبة، ما دام في وسعنا أن نخيب ظن المزيد من الكائنات/ 104)

(*)

سيوران يُشَعْرِن سرود فلسفته ويُمَوْسِقُها سوداويته، يضخ فيها الكثير الكثير من إشراقات البهجة، يلتقط الجوهر ويصوغهُ شذراتٍ ويغرس الشذرات مصوغات ذهبية، هل رأى في أجناسية الشذرات حريته اللسانية؟ أم حريته الحريصة على الاقتصاد الأسلوبي..وهو في كتاباته يبشر بالفراغ ويمهد الطريق للعدم..(ثمة راهب وجزار يتحاربان داخل كل رغبة/ 140) فيلسوف لا يرتعش من الموت ويمقت الانتحار والسؤال هنا هل ميّز سيوران بين (الانتحار المراهق من الانتحار الحقيقي) فالمنتحر الأول يستنجد في حين انتحار الثاني تقرير حسب ريجيس دوبريه/ 127..

(*)

سيوران الذي يرفض الجمهور، صار له جمهورٌ في كل مكان.. من

خلال خمسة عشر كتابا نشرها..وإذا كان يمقت الظهور كفتاة الإعلان.. أو كمشاهير السينما فإنه كان معرفيا دؤوبا في حضوره الفلسفي الغزير..

(*)

هكذا كان سيوران كما أراد هو في البدء سعيدا جدا لأنه مقروء من قلة القلة وبطبعات محدودة لمؤلفاته، وإذا كان سارتر قد رفض نوبل لأسباب سياسية، وصنع الله ابراهيم رفض جائزة الدولة التقديرية في مصر فإن سيوران أصيب بإحباط نفسي كبير في 1988 حين أعلن أنه سينال جائزة بول موران فأعلن هو بدوره عن رفضه لهذه الجائزة.. لأن أي جائزة تحط من منزلة الكاتب وتعمل على تدجينه وتطويقه بالمعجبين والمعجبات وهذه أفضل طريقة لتدمير المشروع المعرفي للكاتب أأي كاتب هذا هو رأي سيوران دائما. أي زهد لدى سيوران؟ وأي حرص على الكتابة؟ كم يخاف سيوران على سيوران من سيوران؟ أي درس في المعرفة يمنحنا هذا المجنون الناصع الصاهل في ظلمات برية القرن الحادي والعشرين؟..

***سيوران من خلال شذراته:**

*أن تكون إنسانا حديثا هو أن تبحث عن عقّار لِما أفسده الدهر

*الشاعر ماكر يستطيع أن يتلوى من البرد إلى حد المتعة.

*لا مفر لكل مفكر في بداية حياته المهنية، من الاختيار بين الجدل والنواح.

*الحزن شهية لا تشبعها أيّ مصيبة

*هل وصلت حياتك إلى نتيجة؟ إذن لن تعرف أبدا الكبرياء

*لا شيء يثير زهونا مثل عقدة الموت: العقدة وليس الموت

*لا يستطيع أحد أن يحرس عزلته إذا لم يعرف كيف يكون بغيضا

(*)

ألاحظ كقارئ شبه متابع لترجمات كتب سيوران..أن هذا المفكرفاشل في الاتكيت ولايملك تقنيات الخجل المصنّع برجوازيا.. هل قلت أنه لا يستحي؟! في زمن أصبحت ورقة التين ذكرى مخجلة للأغلبية، وأصبحت هذه الاغلبية تتبارى في تقنيات العري وتمأسس له فقها افتراضيا؟! في هذا الجو المفرغ من الهواء يكون (الغبي وحده مجهّزاً للتنفس) بشهادة سيوران..وبشهادته الناصعة يعلن...(انكب الشرق على الزهور والزهد وها نحن نعارضه بالتكنولوجيا والجهد وبتلك الكآبة المهرولة ـ آخر انتفاضات الغرب)..ولا يكتفي سيوران بذلك (نحن نعرف الآن أن الحضارة قابلة للموت وأننا نهرول نحو الاختناق، نحو معجزات الأسوأ، نحو العهد الذهبي للرعب/ 84) دائما أغبطُ سيوران على هذه الشذرة الفاتكة، هذه الشذرة العذراء(وحده الأرغن يبيّن لنا كيف تستطيع الأبدية أن تتطور)..لا أقول كم نسبة الشعر هنا، أي شاعر كبير في هذا الفيلسوف المجنون؟ فهو يرى أن الموسيقى والفلسفة توأمان ويضيف(لولا إمبرياليتها كمفهوم لقامت الموسيقى مقام الفلسفة/ ص146)..وهو يطوف على دراجته الهوائية في اخضرار الندى الفرنسي تمنى أن يكون موسيقيا لأسباب لغوية..(من الأفضل ان يكون المرء مؤلف أوبريت على أن يكون صاحب ستة كتب في لغة لا يفهمها أحد/ ص14)

(*)

هل هناك عطر يتفوق على باريس الحضارة والحب، ألم يتفرنس الروسي نوباكوف وكذلك يونسكو والآن معلوف الروائي اللبناني الذي كل رواياته مكتوبة بالفرنسية، وقبله تفرنس أميل سيوران..وحسب سيوران.. (بمعاشرة الفرنسيين نتعلم كيف نكون تعساء، بلطف/ 85)

(*)

بمعاشرة اللغة الفرنسية والسكن في نبض حريرها الأهيف أصبحت نصوص سيوران (حدثا داخل الحدث)..علينا أن لا نسأل لماذا سيوران يكتب بالفأس او الساطور..!! علينا أن نتعقب آثار ذلك الذي حوّل سيوران إلى شظية لن تبرد، لا أقصد أن سيوران قاتل من خلال الكلمات وأن أداة الجريمة عنده إما الفأس..أو الساطور..أردت القول: سيوران يكتب بجسده كله.. لكنها ليست كتابة جنسية إنه يحاول تعويض الروح باغتصاب كوني لا مثيل له، فهو دَخلَ الفلسفة من رحاب الأدب فاكتشف شكسبير من خلال ماكبث.. وأصبح ماكبث مراياه كلها، ثم اكتشف أن ماكبث مسروق من سيوران!! لكن رغم هذه السرقة فهو كان يجالس شكسبير حتى في المقاهي!! إذن حتى نفهم سيوران ونكون في تماس مع انشدادته وانسدادته يشترط التماس علينا، أن تكون نسبة دمنا تحتوي على مَسٍ من الجنون ممزوجا بالهيموغلوبين، فهو يعرفنا من انهمامنا المعرفي.. (لا يهتم بي إلاّ من كان به بعض من مس..)..وهناك من يتساءل في هذا الصدد:هل كل كتابات سيوران فعالية دائمة في إنتاجية الخطأ يصحبها الاعتذار عن الخطأ ذاته!!

(*)

تاج الرماد.. صنعه بيديه وبيديه هو وضعه على رأسه..لكن سيوران

يبصر فجرا نديا في نهاية النفق: (ثمة في البلادة مقدار من الجُد، لو وُجّهَ بشكل أفضل، لأمكن له أن يضاعف محصولنا من الروائع/ 25).

(*)

يتواصل سيوران مع سيرورته من خلال انسلاخات متعددة يعرف كيف يعيد انتاجها ضمن آليات المعرفة وهكذا يخشى على انتحاره المتواصل. (إن كل كتاب هو انتحار مرجأ). هو يخشى الانسجام، لذا يرسلُ يأسا إلى مَن ينتظره منسجما.. (لن أفلح في التصالح مع الأشياء، حتى وإن انتزعت كل لحظة نفسها من الزمن لتمنحني قبلة/ 171)..

(*)

إذا كان هيغل رأى التاريخ يعيد نفسه، فإن ماركس رأى الإعادة تكون من خلال تضاد اتصالي..فالتاريخ مرة مأساة ومرة مهزلة، هذا ما ذكره ماركس بالحرف الواحد في أكثر كتبه شعرنة مسرودة:أعني (18 برومير لويس بونابرت)..وإذا كان التاريخ يتكون من حلقات أفول وشروق على وفق ما أعلنه إزوالد إشبنغلر في مجلداته الثلاثة الماتعة فإن سيوران يرى أن سيرورة التاريخ لا معنى لها، وهنا سر سعادة سيوران.. (للتاريخ مجرى يسير فيه ويتبعه، لكن لا معنى له/ ص10) وهو لا يبحث عن علل ومعلولات تاريخية.. بل يكتفي بإنتاج أسئلة لها يقينية الأجوبة الميكانيكية.. أو الحتم التاريخي الموجود لدى إشبنجلر..(كل الحضارات برمتها ناضجة للاختفاء هكذا هو التاريخ الكوني، في لحظة معينة كل حضارة تنضج للاختفاء/ ص11) وهكذا نرى أن سيوران، يؤكد مجرى التاريخ.. أي سيرورته..لكنه ينفي عن التاريخ أي معنى؟ ويطالبنا أن نتوقف حصريا عند المجرى، لا المعنى!! وهو يترك لنا أسئلةً بلا أجوبة..(فلنأخذ الامبرطورية

الرومانية على سبيل المثال:لماذا فتحت العالم تاركة المجال للجرمانيين البرابرة لاجتياحها وهدمها؟ ليس لهذا أي معنى. لماذا شقيت أوربا لمدة قرون طويلة من أجل تأسيس حضارة كان واضحا أنها مهددة بالزوال من الداخل، لأن الأوربيين متصدعون داخليا؟/ ص11)..

(*)

في هذا الصدد يرى ريتشارد نيد ليبو: (اتباعا لرأي الإغريق. فإنني أزعم أن الشهوة والروح والعقل، تمثل دوافع أساسية للحرب ويسعى كل منها إلى تحقيق أغراضه الخاصة/ ص77)..ثم يرى أن الروح الأغريقية لم تنتج أخيرا إلاّ نموذجا سياسيا وحين يتوسع في تناوله لمفهوم الروح (78 ـ 91)..يرى (تتسم الروح بحمايتها المحمومة لاستقلالية المرء وشرفه وهما أمران وثيقا الصلة/ 79)..يمكن أن نرى أن شعلة الروح قد خبت.. بسبب الانهماك الذي كابده الجسد الروماني، الذي لم ينل استراحة المحارب....

❖المصادر

أميل سيوران

(1) المياه كلها بلون الغرق/ ترجمة آدم فتحي/ دار الجمل/ كولونيا ـ ألمانيا 2003

(2) تاريخ ويوتوبيا/ ترجمة آدم فتحي/ الجمل/ 2010

(3) القياسات المنطقية للمرارة/ ترجمة عدنان محمد/ دال للنشر والتوزيع/ 2016

(4)اعترافات ولعنات/ ترجمة آدم فتحي/ الجمل/ 2018

(5) زهير الجزائري/ المستبد ـ صناعة قائد/ صناعة شعب/ معهد الدراسات الاستراتيجية/ بغداد ـ بيروت/ ط1/ 2006

(6) ريجيس دوبريه/ مذكرات برجوازي صغير بين نارين وأربعة جدران/ ترجمة سهيل إدريس/ دار الآداب/ بيروت/ ط1/ 1977

(7) ريتشارد نيد ليبو/ لماذا تتحارب الأمم/ ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي/ عالم المعرفة/ ع403/ 2013

إفلاطون..... بعيدا عن كهفه

أصل الفلسفة هو إفلاطون، وكل ما صنعته فيما بعد هو أنها أخذت في التحول، مع كانت أو هيغل..

جاك ديريدا

لنتوقف أولا، عند المقتبس من كتاب ديريدا (صيدلية إفلاطون).. نلاحظ كيف أن، جاك ديريدا الذي يدعي انحيازه للهامش، يعلن هنا، تعصبه للمركزية الأوربية؟! وهو تعصب لا يليق بعقل فذ مثل عقل جاك ديريدا التفكيكي، والعصبية الاوربية هنا، تولد فجوة معرفية من خلال حذف ملأ الفجوة معرفيا، أعني أن الفجوة، لم تبق، برسم الفجوة بل تم الملء من خلال جهود شرقية متضافرة، في تتبع، نسقي لم يتوقف جريانه، ومن جهة أولى، أكدت بحوث الدكتور على زيعور، على الأصول الهندية للفلسفة اليونانية.. كقارىء منتج، أرى أصولا بابلية وسومرية في أطروحة الخلق والمثل ومأثورات الحكمة والمنطق ثم نلاحظ كيف أن ديريدا يحذف أنسكولوبيديا أخوان الصفا وخلان الوفا، والفكر الإعتزالي والكندي والفارابي وابن الهيثم والسهروردي وابن سينا وصدر المتألهين ملا صدر الشيرازي..وابن خلدون وابن رشد وابن حزم ألأندلسي وسواهم..؟! والأهم من هذا كله أن جذر الفلسفة ليس غربيا، بل عراقي محض (ترى النظرة الحديثة أن بداية الفلسفة كانت مع مجيء السقراطيين

الذين تمكنوا من تخيل الوحدة في الكون، يرفض بويتر مايكلووسكي هذه النظرة والأصل المتأخر للفلسفة مستخدما كدليل النماذج والأنماط الرمزية والتركيبية التي من خلالها عبر العراقيون القدماء عن بحثهم ونشدانهم المعنى في الكون/ ص34/ بتي ديشونك)

والفيلسوف ديريدا المذهل حقا في انزياحاته الإجرائية مع المعرفة، هو، يشتغل على تراث فلسفي، مستعملا مناهج النقد الأدبي، هذا الأمر الذي استفز الفيلسوف يورغن هابرماس واتهم منهجه التفكيكي بالخطابية اما بخصوص المركزية الأوربية فكلا من الفيلسوف جاك ديريدا ومؤرخ الفلسفة ميشال فوكو، كما يرى المفكر إدوارد سعيد:

(يحاولان بكل دراية اتخاذ مواقف رجعية حيال هيمنة ثقافية طاغية/ 146)

(*)

علينا أن نتوقف عند الظاهرة التالية: يجمع المؤرخون أن الفلسفة السياسية الكلاسيكية الإغريقة، تبلورت اعقاب الحرب البيلوبونيزية..، من ضلع هذا اليقين، نشتق السؤال التالي: هل الفلسفة هي نتاج تلك الحرب؟ * وإذا....فهذا يعني أن الحرب والفلسفة تشكلان اتصالية تضاد: سبب ونتيجة.أي لولا الحرب وهي السبب، لما نتجت هذه الفلسفة..إذن هذه الفلسفة، حين نكشط بشرتها..سنراها مشروطة عسكرتاريا... إذن هي فلسفة تتأفق بغبار صهيل معارك، وحين نهز جذع الفلسفة تساقط علينا الخوذ، السيوف، الخيول، الجثث، عويل الأرامل وصريخ الثكالى... من ناحية الإجراءات، شددت السياسة الفلسفية، على اتصالية انجذابية/ انتباذية..فهي رأت الخطر في: الخاص/ الشخصي/ الفردي..فكان الإنتباذ

عنه..وأطرت الانجذاب في: جماعية العمل المنّظم.على هذا النول غزل الفيلسوف إفلاطون للسلطة الإغريقية: مشروعها الشمولي الذي لا يخلو من قبضة قوية، ستؤدي إلى نقاط ضعف مجتمعي، والسبب أن إفلاطون بأّر المفاهيم كلها من خلال منجنيق الدولة ودرعها..فصيرته الرؤية المبأّرة.. أعمى إزاء: الجمال/ الخير/ الفرد/ الطبيعة/ ...إلا.. من توجسات الدولة، وبالطريقة هذه فإن الإجراءات الشمولية، بمشيئتها أحيت وأماتت مشروع إفلاطون، حول المجتمع المدني..كقارىء منتج، أتساءل: كيف لم يعزل إفلاطون، خارج النص عن داخل النص؟ إفلاطون يتناول مخاطر التجزئة، ويرى فيها: أسباب الفساد والتحلل، ويصفها (أخبث شر بالنسبة للدولة) لكن هذا التشخيص، يسبق فهمه لآليات سلطة الدولة والمجتمع المدني...وهو يهمل الخاص، حرصا على العام بل يحارب التمييز، حرصا على الكونية، يهاجم فن الرسم، يطرد الشعراء من جمهوريته ويقوض سلطة البلاغة في المحاورة المعنونة (جورجياس) وإفلاطون، كان يهاجم السوفسطائيين من خلال البلاغة، في حين يرى الفكر المعاصر في اطروحات السوفسطائيين يكمن جوهر ما بعد الحداثة!!* إفلاطون يتذرع بكل تقاطعاته بانشغالاته التنظيرية في بناء دولة من طراز خاص في الوقت الحاضر، نحن نبني، كما أعتقد الدولة التي ستكون سعيدة ككل، ولا نحاول أن نضمن رفاه قلة مختارة)..ما تزال تبريرات إفلاطون الذرائعية في خدمة جهاز الدولة في كل مكان.. ودفاعا عن هذه الذرائعية..يعلق الخاص بكل ما في التعليق من ضرر على البنى الاجتماعية، وهكذا سيطرت (الكونية) كمفهوم على (التمييز)، وهي تحتفي بمطلقها المزدوج، وبسيطرتها، حذفت الكونية: السياق والعرف؟!

هي حيرة معرفية حقا، تورط الفيلسوف معها.. (تارة انطلاقا من المتعدد، يتضخم الواحد إلى درجة يصبح فيها مطلقا، وتارة أخرى ينقسم من جديد، وهكذا يخرج المتعدد من الواحد) حسب الفيلسوف أمبيدوكليس

(*)

ألا يمكن أن نرى في العقل الافلاطوني، الانتصار الأكبر على هزيمة أثينا العسكرية التي وسقت كل البنى الإجتماعية..؟ ولد إفلاطون في 428 ق.م بعد وفاة بيركليس بسنة تقريبا..نضج في خضم تدهور البنية الاقتصادية والصراعات السياسية، والتدني الأخلاقي..من هذا النسق البنيوي الثلاثي، جاء رد فعله الفلسفي، عبرتأثيل نظرية مدنية، تشتغل على المعرفة والسلطة السياسية، تولي اهتمامها للصالح العام، وتعلن استعلائها على الخاص والإنفصال ولا يميز في ذلك الحاكم عن المحكوم، بل هو يتشدد مع الحاكم: (لا يجوز لأي حاكم، بقدر ما يتصرف كحاكم، أن يتوخى أو يفرض ما يصب في مصلحته الخاصة، فكل ما يقوله ويفعله سيقال ويتحقق بموجب ما هو مفيد وملائم للرعية التي من اجلها يمارس مهنته) *هل نلمس مشاعية معينة في هذا النص الإفلاطوني؟ ألا نرى خوف إفلاطون من الملكية الشخصية والتي من تركيمها تنبثق الملكية الخاصة؟ الكلام الذي بين قوسين، يكشف، أن في (جمهورية إفلاطون) كل عنصر مكّون، عليه أن ينجز وظيفة محددة هل في ذلك نطفة شرط..(من كل حسب طاقته)..؟ من خلال قراءة إنتاجية للجمهورية تتكشف لنا أنها من إنساق وظيفية تكمن سيرورتها في التوازن والانسجام وثمة إتصالية بين الحاكم وعامة السكان، وهي تؤطر حركة الحاكم: (ما لم يتم القضاء على الأنانية الذاتية في المهد، فإنها ستتسرب، من قيادة المدينة إلى عامة السكان، ذلك

التنوع، واللامساواة والتنافر ستسبب الكراهية والحرب الأهلية، كما هو دأبها دائما، وتلك هي، كما في كل مكان، ولادة الصدام المدني وأصله)...

هل تكفي صرامة التعاليم في تأثيل (جمهورية إفلاطون)؟..تلك الصرامة؟..ألا تمسخها (مستعمرة إفلاطون)..؟..هل كان نتاج إفلاطون كله يتأطر ب (صدمة الألم) على موت المعلم سقراط؟ لذا حاول (الكشف عن الطرق التي تتيح للحكام أن يسيروا نحو نظام أكثر هجسا بالعدالة، ونحو مجتمع يستطيع فيه سقراط أن يعيش وأن يعبر بحرية)..حسب آبيل جانيير*

الآن مع القرن الحادي والعشرين..ظهرت طبعات منقحة ومزيدة من (جمهورية إفلاطون) تحت مسمى (مدن المعرفة) وهذه المدن نتاج الوعي المعرفي الذي رأى (المعرفة أحد أهم المرتكزات لأي مشروع أقتصادي، والتي يجب إدارتها بفاعلية وكفاءة للحصول على ميزة تنافسية في حقبة اقتصاد المعرفة/ ص23)*ومدن المعرفة، ليست أكاديمية تخصصية صارمة، كما يوحي اسمها، فهي تنبثق من مفهوم معرفي شمولي له سعة احتواء البنية الاجتماعية بتراتبيتها الثلاثة: الاقتصاد/ الثقافة/ الاجتماع ويرى إرغازاكيس (مدينة المعرفة تستهدف التنمية القائمة على المعرفة عن طريق تشجيع الإبداع والتشارك والتقييم والتجديد والتحديث المستمر للمعرفة، ويمكن لذلك أن يتحقق عبر التفاعل المستمر بين مواطني المدينة أنفسهم وبين مواطني المدن الأخرى، حيث تؤدي ثقافة تشارك المعرفة وكذلك التصميم الملائم للمدينة وشبكات تكنولوجيا المعلومات والبنية التحتية لها على دعم هذه التفاعلات)

(*)

ربما أدرك ذلك قبلنا، ذلك التلميذ النجيب، الذي أمضى عشرين عاما في أكاديمية، المعلم، إفلاطون أعني أرسطو المولود في 384ق.مْ وهو يكتشف، أن الخاص والجزئي، لا يقل أهمية عن العام والكلي.. ورغم سعته الموسوعية كمفكر، فإن الاتساع الهائل للامبرطورية المقدونية، لم يعد يكترث لفيلسوف رأى في السياسة (العلم الأساسي للخير)..لأن الأمبراطورية بأّرت رؤيتها، بالقوة الحصانية، لا بالمنطق الأرسطي، وإذا كان ارسطو قد رأى في الأسرة، مثابة الدولة، فإن الإمبراطورية المقدونية، حولت رجال الأسرة، علفا لصهيلها الذي لم يتشظ، إلاّ بعد مقتل الأسكندر المقدوني..المهم في العقل الأرسطي..انجذابه إلى مهيمنة المدينة، فالقرية تعني له (مجرد الحياة) في حين المدينة كان ينظر اليها عبر منظار الكلية المكتملة، المكتفية ذاتيا، لذا كانت المدينة، بالنسبة لأرسطو تعني (الحياة الصالحة)..من هنا رأى أرسطو في مبررات إفلاطون حول وحدة المجتمع المدني تدميرا لثوابت المجتمع المدنية!!هل يكون السبب هو أن إفلاطون لم يميز بين المدينة وبين مكوناتها؟ كما يرى أرسطو، أم لأن إفلاطون لم يلتقط المختلف من المؤتلف؟؟ على الطرف الآخر من معادلة الموازنة النصية، هناك من تأثل مشروعه الفلسفي على تداعيات انشطارات إمبراطورية المقدوني، لكنه حاول تفعيل اتصاليات فلسفية، بين النقائض المحورية، أعني..الفيلسوف زينون الأيلي (336 ـ 264ق.م)، أراه الممثل الشرعي للسكينة التأملية، في لحظة انشطارات الأمبراطورية المقدونية، بُعيد هلاك المقدوني...

(*)

ثمة مقتربات فلسفية بين زينون وبارمنديس، في تضادهما مع نظرية

الفيلسوف أبيقورس المسماة (الجوهر الفرد)..حاول زينون تفنيدها من خلال (المحدود لا يقبل القسمة بغير حدود)..وكذلك بتحويل اللوغوس الهيراقليسي إلى (الكلمة) الرواقية، وهذه شفرة رواقية أعلنها زينون... (الوجود: كائن حي) وتراتبية الشفرة: للجسم: نفس، للكون نفس، ونفس العالم:الإله..وحسب زينون (العقل الفاعل) وبعد قرابة الألفي سنة سيكرس (عمانوئيل كانت)مشغله الفلسفي على (العقل المحض)..وكذلك هيغل.....

(*)

رواقيا..أدت فكرة اللوغوس Logos، المتدفق في الكون، إلى مفهوم ديناميكي في اتصالية الأجزاء عبر كلية تفاعلية، وهذا الاجتراح النظري الرواقي، هو الراتوب الأعلى في عظمته ضمن (التاريخ الفلسفي للفلسفة) باستنكافه المتعالي على سيرورة الزمان، وعلى التاريخي والسوسيولوجي، حسب (بيير بورديو)..أزاحت الرواقية:الوجود الجوهري، ضمن منطق أرسطو، وغرست مفهومها (تتابع الحدوث)، لتغليبها الضروري، على الوجود الجوهري، فالعلم رواقيا، لا يعني معرفة العام، بل معرفة الضروري، التحديد المطلق لموجودية (العلية)كمفهوم سيرورة واجب الوجود، حتى وإن لم تكن ظاهرة للعيان، أي في حالة كمون مشروط بالوقتية. وهنا يكون القدر، الاصطلاح الأساسي لقانون العلية في الفيزيقية الرواقية وهنا أيضا تتجلى اتصالية الانسجام الرواقي حيث القدر يعني شمولية الأنسجام الكوني/ الموحّد/ الطوق الذي عنه أو منه شيء،.وضمن (التاريخ الفلسفي للفلسفة)، يعد منجز الرواقية، هذا تخطيا لأطروحات أفلاطون وأرسطو، ومحايثا لأفق ديمقرطيس وأبيقور..

(*)

في دراسته الشيقة: (جيل غاستون غرانجي) يبيّن لنا كيف فّند أرسطو مفهوم التواصل لدى زينون بمقارعته، بمفهوم (الحافة) التي (لا تتعلق بالفضائية فقط، بل بتركيب الوقت والفضاءفي الحركة كنوعين من التواصل/ ص122)..زينون يستدل بمكر، على أن من المستحيل التفكير في الحركة من دون تناقض، ومن خلال الأمثلة الأربعة: السهم/ أخيل/ التثنية التفريغ/ الملعب، هنا يرى زينون (الفضاء مكونا من نقاط والوقت مكونا من لحظات، لا تقبل التقسيم بالفعل في كل لحظة، يجب أن يكون السهم، إذا وجد ساكنا، في فضاء يتساوى مع ذاته)..هنا تصدى، أرسطو لتعريف زينون، بتعريف مضاد، وهو (**المتواصل لا يتشكل إطلاقا من نقاط أو لحظات لا تقبل التقسيم،..والمتواصل الأرسطي هو: الذي يقبل القسمة إلى أجزاء، تقبل دائما القسمة**)....وحده أفلوطين من رصد الفجوة في العقل الرواقي، بسنارة سؤاله الوجودي، فإذا كانت سيرورة الأشياء مترابطة كسلسلة، حيث المابعد لا يحيد عن الماقبل، فإن هذه الحركية، مقفولة كدائرة..وسيرورتها لا تتأفق بأفق انفتاح..زينون هو الذي صرخ صرخته المدوية (النارالعاقلة) وهي نظريته التي كشفت اتصالا فلسفيا بين نظرية (الأنكسا جورية) والفيلسوف هيراقليس (الشعلة)....شخصيا أرى لا يمكن قراءة الرواقية إلا بالمجاورة مع الإفلاطونية..، لنكتشف البعد الخلافي في منظور الفلسفتين، للجوهر..هل هو جوهر منزه؟ أم جوهر الجوهر كما ترى الرواقية.؟!

كما اقترضت الرواقية من أرسطو مفهوم (فاعلية الصورة)وأعادت صوغها ضمن مفهوم (فاعلية الوجود الواقعي) منجز الرواقية الأعظم في مرحلتيها الشرقية السورية والغربية الرومانية، في نظرية (الوحدة الحلولية)،

أي (السعادة في الواجب) وتتشخصن حركية الاتصال بين الكلي/ البشري، حيث يتواصل البشري، ليس من خلال شروط سلطة السلطة، بل عبر قناعة صوفية، في مشاركاته الاجتماعية وهو منتشٍ بسعادات العروج صوب مرضاة المطلق...في الأخوة كرامازوف، رائعة دستويفسكي، التي محقتها الآن ذاكرة النت والفيسبوك، والتويتر وبقية العائلة النتية....في هذه الرائعة أحد الأخوة يقتل الأب، لكن أحد النقاد الكبار في قراءة فذة للرواية، يرى أن ثمة قاتل مجازي، وهو أخ القاتل الحقيقي.. يتحمل هذا الوزر الأعظم.. وحين يواصل ناقدنا الكبير، حفريات كشوفاته، يكتشف أن المتسبب في الجريمة هو: (العقل الكلي) للفيلسوف عمانوئيل كانت....!!

إشارات ومصادر

*بتي ديشونك ميدر/ صلوات إنهيدوانا/ ترجمة كامل جابر/ منشورات الجمل/ بغداد/ 2009)

*إدوارد سعيد قارئا لدريدا/ ترجمة عبد الكريم محمود/ من كتاب/ جاك ديريدا والتفكيك/ تحرير د.أحمد عبد الحليم عطية/ الفارابي/ سلسلة أوراق فلسفية/ بيروت/ ط 1/ 2010

*العلاقات بين الحروب والفلسفة، ليست إتصاليات مصادفة، بل ضرورة..يتكررإنتاجها بين الحين والآخر..فترة ما بعد أي حرب هي حاضنة نقاهة، تتفقس فيها تساؤلات جوهرية، فالحركة الدادائية، هي ثمرة الحرب الكونية الأولى، والفلسفة الوجودية، تدفقت في، الحرب الأولى...وبعد إنطفاء الحرب الكونية الثانية، اتسعت رقعة العالم الاشتراكي، من جهة، دشنت الوجودية في أوربا الرأسمالية، عهدا جديدا من عمرها الفتي (نشأت

الوجودية، في العصر البائس، بعد الحرب العالمية ألأولى، مع كل شعور عدم الضمان الذي استبد آنذاك بالأنسان...إنها تدين بانتشارها مجددا إلى نتائج الحرب العالمية الثانية المدمرة، التي أطاحت، بمجموع بنية وجودنا، على نحو أكثر عمقا، كما تدين إلى نتائج التصدع التاريخي الشامل لكل عالمنا الفكري حتى الآن/ الفيلسوف الوجودي بلنوف/ من كتابه (فلسفة الوجودية)

*.سهيل نجم/ في الحداثة وما بعدها/ دراسات وتعريفات/ دارأزمنة/ ط1/ 2009

*حول آبيل جانيير../ انظر أدونيس/ موسيقى الحوت الأزرق/ دارالآداب/ ط2/ 2011/ ص221

*كارل ياسبرز/ نصوص مختارة من التراث الوجودي/ ترجمة فؤاد كامل/ القاهرة/ الهيئة المصرية العامة

للكتاب، سلسلة النصوص الفلسفية/ 1987/ ص93.

* جمهورية إفلاطون/ ترجمة د. فؤاد زكريا/ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة/ 1985

*بخصوص الرواقية، إستفدنا من:

* د.عثمان أمين/ الفلسفة الرواقية/ المكتبة الأنكلو المصرية/ القاهرة/ 1970

*أبكار السقاف/ نحو آفاق أوسع ـ 3 ـ / المراحل التطورية للإنسان/ الدين عند الأغريق والرومان والمسيحيين/ الإنتشار العربي/ بيروت/ طبعة أولى/ 2004

*جيل غاستون غرانجي/ فكر الفضاء/ ترجمة الدكتور علي دعيبس/ مركز دراسات الوحدة العربية/ بيروت/ الطبعة ألأولى/ 2009

*فرانشيسكو خافيير كاريللو/ مدن المعرفة ـ المداخل والخبرات والرؤى/ ترجمة خالد علي يوسف/ الكويت/ عالم المعرفة/ ع381/ 2011/ ص23

*حول رواية الأخوة كرامازوف...اعتمدتُ هنا، على ذاكرتي/ المقالة النقدية، قرأتها في مجلة الأقلام/ عام 1979، للناقد غاليكو وهي بجزئين وبين الجزء الأول والثاني أربعة اشهر

الا نحلال الاحتمالي للمعنى الأول في المعنى الاخر..

قراءة مجاورة/قراءة متسائلة

في 25/ 26 شباط/ فبراير/ نظّمّ مركز جورج بومبيدو مؤتمرا دوليا بالتعاون مع دار نشر غاليمار..وتمخض المؤتمر عن كتابين فلسفيين (قرن من الفلسفة/ 1900 ـ 2000) و(أيّ فلسفة للقرن الحادي والعشرين؟) ترجم الكتاب الثاني للعربية في أيار/ 2011.. تحاول قراءتنا المنتجة انتخاب قراءة معينة لمفاصل من الكتاب..الذي يستحق قراءات متنوعة..

استراتيجية القراءة..

بعد تكرار قراءتنا المنتجة للنصوص الفلسفية العشرة..قررنا ترك النص text والخروج الى السياق (context)....

2 ـ 1 نار الأولمب الطبقية...

مع انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى في الثلث الأول من القرن العشرين، صارت الماركسية بطبعتها اللينينية سراج الشعوب الفقيرة..فقد استعاض لينين عن ماركسية الحتم التاريخي لماركس، أعني (الضرورة الحديدية للتاريخ)..مؤكدا على دور(القيادة البروليتارية)(2) على

الشاطىء الثاني الموازي للثورة الفتية العظمى، انتقلت عدوى الثورة إلى ألمانيا وسرعان ما قمعها العسكر وكان من ضحاياها القائد الثوري كارل ليكبنخت، وشعلة الثورة (روزا لوكسبرغ.)..

(جمهورية المجر السوفياتية) لم تأخذ من سنة 1919 أكثرمن 123يوما، ثم فر (بيلا كن) رئيس الجمهورية إلى النمسا..ولم يتخل حالم الكرملين فلاديمير لينين عن انتظاره الأممي للثورةالأممية في أوربا الغربية الرأسمالية، ها هو يكتب في 1920 (..الإمبريالية على شفاه الثورة الاجتماعية للبروليتاريا، هذا ما أثبت صحته في عام 1917 على الصعيد العالمي)..في 1921 ينعقد الكومنترن الثالث..فينشب النزاع والتساؤل.. هل الوضع العالمي وضع ثوري؟ أم إن (التاريخ خائنٌ بصورة شائنة فيما يتعلق بسرعة تحرك الثورة؟) حسب (النبي المسلح)* ليون تروتسكي؟ ولأن النظرية رمادية اللون والحياة وحدها شجرة خضراء..فإن لينين نفسه استوعب قوة المصدات الإمبريالية في قمع الحركة الثورية العالمية وتعليق قيام الثورات الاشتراكية..لذا أكد في 1923: (أن روسيا انعدم أمامها أي خيار، لا بد أن تخلق الظروف التي تسمح بالانتقال إلى الاشتراكية دون المرور بالمرحلة الرأسمالية).. لينين هنا يغترف من العقل الماركسي وفق منجز الاشتراكين الثوريين الروس: (تشيرنيشفسكي)و(بليخانوف) و(تكاشيف)..ليصنّع ما سوف يعرف ب(الماركسية الخلاّقة)..وما يشخصه الشاعرمايكوفسكي في قصيدته (ضاع في الكومنترن) سيشكل بداية طيبة بين لينين ومايكوفسكي..فقد أُعجب لينين بقصيدة مايكوفسكي وهي تسلط ضوءاً على حالة البيروقراطية في الحزب....وسيكتب لينين قبيل وفاته في 1924 ما يلي: (دولتنا دولة عمالية منطوية على تشويه

بيروقراطي.. إن النضال ضد البيروقراطية سوف يستغرق عقودا من الزمن، وسيكون هذا النضال من أشد النضالات صعوبة)

لكن الوعي الاشتراكي بوهجه كان يسري في غابة الرأسمال.. وأنتج مفكرين كبارا أمثال (غرامشي)..(كورنيلوس كاستورياديس) ومدرسة فرانكفورت الفلسفية، التي كانت تضم الفلاسفة(يورغن هابرماس/ أدورنور/ والتر بنجامين/ إيريك فروم/ ليو لوفنتال).... وفي البلدان المستعمرة كانت الخلايا الماركسية ترصّن نسيجها في مصر والعراق وبلاد الشام..ومن جانب آخر وتحديد أًعلى المستوى الفلسفي أصيب العقل الكونيالي برد فعل إزاء منجزه الفلسفي وتحديدا الديالكتيك الهيغلي والشك الديكارتي، فانتشر التناول الشعري للوجود وانتعشت الوجودية كفلسفة تعايش ومعاناة في الحياة، ورأت في الرواية والشعر ميدانا لفلسفتها وهكذا انتشرت روايات سارتر ومسرحياته وكذلك الاعمال الأدبية لرفيقته سيمون دي بوفواروروايات فرانسوا ساغان ومسرح العبث: صموئيل بيكت/ آداموف/ إدوار ألبي/ أوجين يونسكو/ جان جينيه..وروايات إلبير كاموحيث تحولت رواية (الغريب) إنجيلاً للوجودية..وسرعان ما وجدت الوجودية أبا فلسفيا جاهزا وهو الفيلسوف سورين كيركوكورد المتوفى قبل قرن، وجعلت من كتابيه: (أما أو..) و(فتيتة فلسفية) ضمن التداول السريع..سورين كيركوكورد وحصريا الإنسان المكابد والشقي في سورين كيركوكورد، كان ينحاز بكليته إلى أقصى الذاتية، ذاتية الفيزيقي وليست الميتافيزيقيا لذا أنتج رفضه المزدوج للحتم الهيغلي للتاريخ والكوجيتو الديكارتي، واشتهر بمقولته المتقاطعة مع الكوجيتو الديكارتي (أنا أفكر إذن أنا موجود)، حيث أعلن كيركوكورد عن كوجيتو مضاد(أنا أفكر إذن أنا

غير موجود)..في هذا الكوجيتو هو يعلن أن إنسانية الانسان ليست فكرا محضا، بل هي تتشقق من أحاسيس الإنسان وهفواته الضرورية لمعرفة الوجود، وهكذا أصبحت الوجودية تمردا على إرادة النسق الشمولي الممتد من القرن الثامن عشر وصولا إلى الثلث الأول للقرن العشرين..ونرى أن وجودية عصر سارتر مسبوقة بممهدات منها: الدادائية، التي تشظت من الحرب الكونية الاولى..وهكذا تكون الدادائية والمستقبلية والسوريالية محاولات جريئة في الخلاص من أبوية النسق الفلسفي الصارم..وهناك ردة فعل أخرى على النسق الهيغلي والديكارتي..لكن هذه الردة، أشبه ما تكون بردة أروقة مقارنة بالوجودية كردة جماهير وتتشخصن ردة الأروقة بالفلسفة الوضعية المنطقية وكذلك فلاسفة المنطق البريطانيين برتراند رسل ومشتقاته.. ومدرسة فيينا التي تنطلق من ضرورة تحديد المدلول وإخضاع الحكم الوارد في العبارة لمعيار القابلية للتحقق وهنا قامت الردة بتقعيد الفلسفة في غرفة المختبرالتحليلي والمنطقي وأصبحت الفلسفة محض مساعد ضئيل للعلم وظيفتها العناية بدراسة لغة العلم..وحسب فتغنشتاين (لم تعد المذاهب الكبرى التي تنطوي على أفكار عامة وشاملة لكل مظاهر الكون.وإنما أصبحت مجرد تحليل للغة العلم أو توضيح منطقي للفكر العلمي تحديدا) وفي هذا الصدد، يرى جاك ديريدا:أن (النزعة الوضعية، التي تجعل الفلسفة نمطا من المعرفة ينتمي الى مرحلة عفا عليها الزمان، وتبشر بقدوم عصر جديد، يتولى العلم فيه حل المشكلات التي طرحتها الفلسفة، إن لم يطح بها كلية بوصفها مشكلات زائفة/ ص36) (3)

والسؤال الآن ما الذي استفز مفكري اوربا ودعاهم للاتفاق الكلي في العودة إلى الفلسفة الإغريقية..؟ وهي بشهادات فلاسفة غربيين إنها

كفلسفة لم تغادر أنساق التحديدات والتقابلات المفهومية وهذا سوف يتجسد في الماهية وكذلك في الوظيفة العادية للميتافيزيقيا، سيكون ما ننقله عن إفلاطون مساوٍ إلى قولنا في أرسطو أو بارمنديس وصولا إلى كانط الذي سيشكل تفارقا فلسفيا كبيرا، ليأتي هيغل كأعظم مستثمر لمنجز كانط..هيغل:مسك ختام الميتافيزيقيا الأوربية..ونحن في الوقت نفسه لا ننكر الإضافات الإغريقية للفلسفة، ولكنها إضافات داخل السياق وليست تمردات عليه...مما يجعل المنظومة الفلسفية منضّدة بترابط في مجال المفهمة، والديالكتيك والعقل المحض...إلخ ومن جانب آخر إن (التجريبية ـ الاستقرائية التي مهدت ورافقت حركة النهضة الأوربية الحديثة في الفهم والنظر، تقف وراء استبعاد المطلقات ورفض قانون الهوية الأرسطية/ ص108) (4) أما السؤال الثاني فهو: لماذا أرسطو حصريا..؟..وهنا أستعين بالفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو من باب (شهد شاهد من أهلها) حيث يعلن فوكو (إن عصرنا هذا كله، سواء من خلال المنطق أم من خلال الأبستمولوجيا وسواء من خلال ماركس أم نيتشة هو عصر يحاول الإفلات من هيغل) (5)

(*)

نلمس مصداقية كلام هذا الفيلسوف الشاهد، في محاولات أستاذ الفلاسفة الفرنسيين أعني الماركسي بابا ألتوسير، الذي بعد مئة وخمسة عشر عاما من نقد ماركس لهيغل يكرر محاولة ماركس في هذا المجال، وهنا أردد مع المفكر هشام غصيب (لماذا شعر ألتوسير بالحاجة الماسة إلى نقد هيغل في مطلع ستينات القرن العشرين) (6) السؤال الثالث هل يتمكن أرسطو أن يقدم لنا قراءة إنقاذية لتدهور الفكر الكولونيالي في

(عصر الرأسمال)؟ ربما اقتربنا في سؤالنا هذا من الفيلسوف أريك هوبز باوم.إذا كانت الفلسفة هي (المعرفة العقلية) كما جاء في موسوعة لالاند/ المجلد الثاني/ ص980 وهذه التعريف الوجيز حين نفككهُ هل يعني فقط العقل الإنساني على وفق المبادىء الثلاثة التي اجترحها أرسطو:

*مبدأ الهوية

*مبدأ عدم التناقض

*مبدأ الثالث المرفوع

وهي تشتمل في تفرعاتها على: الشمول/ الدقة/ الإحصاء/ المعاينة/ التنظيم/ الاستقراء/ الاستنباط...

ومن جانب آخر، تحذف: التجربة الحسية/ الحدوس الصوفية/ الرؤيا بالقلب/ العاطفة/ التقليد..وفي هذا الصدد يقرن الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز موافقته للعمل في حقل الفلسفة..(شريطة تبديد مبدأ الهوية ويضيف بأن على تاريخ الفلسفة أن يلعب دورا مماثلا للدور الذي تلعبه الملصقات Collage في ميدان الفن التشكيلي/ ص14)(7)..وفي كتابه الضخم (الاختلاف والتكرار) يتبين رفضه لمبدأ الهوية من خلال اعتناقه لفلسفة الاختلاف، فالكائن ليس هو المماثل، لأن التمثل يعمل على وفق ميكانيكزم اتصالي لمبدأ الهوية، الذي يجعل تاريخ الفلسفة كله محكوماً بهذا الخطأ...

السؤال الرابع: هل يكفي فيلسوف واحد للقرن الحادي والعشرين؟

أليس في ذلك معاداة لأرسطو ذاته، الذي جاء ضد الفكر الأسطوري بخرافاته وطلاسمه وشعوذاته؟..

السؤال الخامس هل يمكن تقرير مصير الفلسفة من خلال مؤتمر أو ورشات عمل فقط؟ ماالذي يمنع ان تكون المشاركات في المؤتمر عبر التشارك الأممي بين الحضارات وتكون ثمة أوراق نقاشية عربية وإسلامية تمثل الحضارات: العربية الإسلامية والهندية والصينية و...إلخ؟ وفي هذا الصدد أقول مع المفكر العراقي الراحل هادي العلوي: (مايزال عصرنا عصر الهيمنة الأوربية وماتزال جمهرة مثقفينا تستريح على أن لكل أوج حضيض تنعطف منه الاشياء إلى مصائر مغايرة وقد تأوجت الهيمنة الغربية إلى حدود لم يعد بالمقدور تجاوزها إلى ذروة أعلى واستكمل الغربيون حلقات حصارهم ففرضوا على المحصورين أن يبحثوا عن منافذ للافلات..ما نشكو من هيمنته علينا ليس العلم الغربي أعني ليس انشتاين أو فرويد، بل الآيدلوجية الغربية، كما أن ما يعنينا اليوم ليس الفكر الشرقي المتنافر مع جمود الحقائق العلمية بل الفكر الشرقي في تدامجه مع الطبيعيات وتراث الفكر الشرقي الذي اتسع لكونفوشيوس ولاوتسو كما اتسع للغزالي والخوارزمي وسيخدم الكشف عن منابع جديدة لثقافتنا في أعماق آسيا هدف انفلاتنا من هيمنة الثقافة الغربية التي نريدها أن تكون أحد روافد ثقافتنا وليس النبع الوحيد الذي يتزاحم عليه الرواد/ 8 ـ 9/) (8)

(*)

فضائل أرسطو..

لا يمكن التقليل من شأن أرسطو كفيلسوف، فهو على ذمة شراحهِ، يُعد مرحلة فلسفية بحد ذاته، حيث استطاع النفاذ من إشكالوية فلسفية حادة بين القائلين بمبدأ الحركة واللاكائن وأنصار مبدأ سكون الكائن وأبديته

فقد نجح أرسطو في حسم التناقض بين الفريقين من خلال قولته الفلسفية التالية (إن الكائن يقال بمعانٍ عديدة، فالجوهر والكمية والإضافة والمكان والزمان والوضع والملك والفعل والانفعال هي هذه المعاني المختلفة التي يمكن للكائن أن يقال انطلاقا منها وما من لفظ من هذه الألفاظ يُثبت أو ينفي شيئا من ذاته أو بذاته فقط بارتباط هذه الالفاظ في ما بينها، يتم الإثبات والنفي..)ولا يكتفي أرسطو بذلك فهو ينتقل من المجرد إلى المحسوس، قائلا (فما هو الجوهر؟ هو مثلا:إنسان، حصان..

الكمية؟ ما طول ذراعيه

الكيفية؟ أبيض، عالم لغة

الإضافة؟ ضعف، نصف، أكبر

المكان؟ أين..

الزمان؟ متى

الوضع؟ مستلق، جالس،

المِلك؟ منتعل، مسلح

الفعل: يقطع، يحرق

الانفعال: مقطوع، محروق.)

(*)

من دواعي المؤتمر:

(على مدى عشرين قرنا، قامت هذه المقولات..بإملاء القواعد

الاساسية للتفكير الفلسفي، فماذا تبقى منها اليوم؟ هل ينبغي التخلي عنها؟ وهل يجب أن نعيد التفكير فيها بصيغ جديدة؟ ما من جواب ممكن إلا (بصيغة)المفرد،

من خلال فحص كل مقولة على حدة وبالجمع، من خلال احترام تنوع المقاربات والتقاليد الفلسفية التي ستستجيب كما الصدى لبعضها بعضا./ ص10/ دانيال سونيف/ ايريك فيني)..

وكقارىء منتج أرى أننا أمام محاولة من محاولات ما يسمى (اللاهوت السلبي) أننا سندرك ماهية الذات الارسطية من خلال نفينا عنها كل ما لا يليق بها..وعلى مستوى آخر يعيدنا هذا الامر إلى لعبة التوازيات..حيث عضد العقل الكولونيالى في حقبة المد الماركسي الجماهير والأكاديمى في النصف الأول من القرن العشرين، عضّد مشروعين فلسفيين كمصدين إزاء المد الماركسي المشروع:

*الأول يمثله نيتشة ودولوز

*الثاني هيدجر وديريدا وميشال فوكو

يشترك المشروعان في رفض الهيمنة الهيجلية والبنيوية، وفي بلورة النقد انطلاقا من الميتافيزيقيا وضدها في آن، وفي اللجوء المشترك إلى مفهوم الاختلاف، رغم ذلك..استمر المد الماركسي في اجتياحه إلى نهاية العقد الثاني من النصف الثاني للقرن العشرين، وبشهادة مضادة تؤكد ذلك وهي شهادة (فيلب مانغ) حيث يرى أن كلاً من فوكو/ ديريدا/ دولوز..(كان منطلق هؤلاء الفلاسفة شعورهم، بأن الفلسفة ظلت خلال الفترة 1970 ـ 1960متخلفة عن ركب ما يجدُّ في حقل العلوم

الأخرى..وكأن الفلسفة وصلت إلى طريق مسدود/ ص8) (9)ومع التمرد الطلابي 1968 الذي اندلع من فرنسا وانتشر في اوربا، وأمريكا بقيادة الطالب الجامعي (كوهين بانديت) ورفاقه، وهم يحملون ملصقات فيها صور (أرنستو جيفارا) (هوشي منه) (ماوتسي تونغ) سرعان ما تبنى العقل الكولونيالي تخريجات (هربرت ماركيوز)كنبي لليسار الجديد، والقصد من ذلك مصادرة حماس الشباب الأوربي وتعليق الثورة، فانتشرت في أوربا وفي البلدان العربية في ذات السرعة الضوئية، مؤلفات ماركوز، أمثال (الحب والحضارة).. (الإنسان ذو البعد الواحد).. (فلسفة النفي) وغيرها من الكتب الباثة للوعي الزائف.. والحقيقة كانت خلافا لذلك كما فضحها المفكر الكبير محمود أمين العالم في كتابه (ماركيوز أوفلسفة الطريق المسدود.. (مع انفجار حركة الطلبة والشباب عام 68، كانت هناك إضرابات عمالية عارمة في كثير من بلدان العالم الرأسمالي وإنجلترا وإيطاليا واليابان وغيرها، ولكن وسائل الإعلام الرأسمالية، كادت أن تتجاهلها تماما، مركزة أضواءها على حركة الطلبة والشباب، ليس هذا فحسب بل، حاولت أن تنسج بينها وبين مفاهيم ماركيوز جسورا مشتركة بحيث تجعل من مفاهيم ماركيوزالقوة المحركة والدلالة المفسرة لهذه الحركة، وسرعان ما بدأ ماركيوز نفسه يشترك في هذه اللعبة، فأخذ ينتقل بين العواصم ويلقي المحاضرات والندوات باعتباره المبشر بها والنبي المنتظر للثورة الإنسانية..كان الهدف، هو محاولة ركوب موجة الحركة الطلابية والشبابية، لتزييف دلالتها والانحراف بها فكريا وعملياواستيعابها في النهاية، لغير مصلحة أهدافها النبيلة/ ص22).. (10)

(*)

شهادة المترجم انطوان سيف

في ص12 في معرض حديثه عن مؤلفات أرسطو، يخبرنا المترجم (لم يصلنا من كل هذه المؤلفات سوى 47 مؤلفا، وهذه المؤلفات الباقية ليست كاملة، بل أصابها النحل إما بكاملها من حيث أسلوب الكتابة دون المضمون، إذ يرجّح كتابتها من بعض تلاميذه لا من أرسطو نفسه، وإما من حيث مضمونها الذي لا ينسجم مع مواقف أرسطو العلمية والفلسفية

المعروفة، أو بعض أجزاء أو مقاطع منها، أقحمت في النص الأرسطي الأصلي أو ببعض الأجزاء الناقصة المفقودة من النص الأصلي وأما أخيرا، من حيث ترتيبها ضمن كتب لم يضعها أرسطو نفسه على هذا النحو او بالتالي من حيث ترتيبها وفقا لأزمنة تأليفها، التي لاتزال مجهولة على العموم، وواقعة في نطاق التخمين...)

وسيكررالمترجم الكلام نفسه في ص34....على وفق كلام المترجم.. إن ما توفر من كتب موقعة باسم أرسطو ليست كتبا أرسطية إلا بالاستعاضة، وعبر فهم الشخص المنتحل وقراءته الشخصية في إنتاج أرسطو حسب وعيه هو..!!

إذن ما تقدمه الأوراق المشاركة محض قراءات في كتب هي في الحقيقة غير أرسطية...؟!وفقا لكلام المترجم..(وإذا كانت الترجمة هي في الأصل تأويل، أو اختيار (قراءة) للنص من بين (قراءات) عدة محتملة، أو هي فعلا طرد واستبعاد لقراءات أخرى أو استبقاءعلى واحدة منها وحسب، فإن هذا الخيار الأولي الذي قام به المترجم السرياني منذ أكثر من ألف عام، قام به في الحقيقة مرتين، الأولى: عندما انتقل من لغة هندو

ـ أوربية هي اليونانية، إلى لغة سامية هي السريانية، والثانية: عندما عاد، هو نفسه ونقل هذه النصوص السريانية (السامية) إلى لغة سامية أخرى هي العربية/ ص44) وبشهادة المترجم: (إن القراءة السريانية الأولية، لنصوص أرسطو تحديدا، لم تكن أرسطية صافية ولن تكون بالتالي هكذا عند العرب اللاحقين وعند الأوربيين الوسيطيين الذين أخذوا عن العرب/ ص45)

(*)

ألا يمكن اعتبار السؤال: حصاة الفلسفة...؟ تشطحة في الماء الراكد لليومي والمألوف والمنمّط..وهكذا تتخلق دوائر من التفكر وكيفية صوغ هذه التفكرات..ثمة اتصالية مسائلة: موضوع/ زمان..مختومة بعلامة استفهام (أيّ فلسفة..؟) والمحذوف هنا فعل الإرادة وهكذا يكون التساؤل (أي فلسفة نريد للقرن الحادي والعشرين؟) وهكذا زمان التفلسف هو المعيار القاعدي المرتهن بصدق انتمائها (الفلسفة) لحقبة محددة حصريا بالقرن الحادي والعشرين وإذا كان التحديد ديمقراطيا، فأن الواحدية الفلسفية تبشر بدوكماتزم يعلن عن توتاليتارية أخرى؟! لماذا لا يكون شعار المؤتمر الفلسفي أو عنوان الكتاب (أي فلسفات للقرن الحادي والعشرين) إن المؤتمر الذكوري، عشرة رجال من الباحثين الأكاديميين، بذلوا جهودا فلسفية مخلصة تعلن عن مركزانيتهم الغربية، وتعلن عن وجهات نظر تشكل مصفوفة فلسفية منضّدة تنضيدا أرسطياً محض...لمن ينتسب هذا العنوان (أيّ فلسفة للقرن الحادي والعشرين؟)؟ ألا..ينتسب لسلطة مركزانية؟! اليس (أسئلة العنوان هي دوما أسئلة السلطة والاحتياط والحق والحق المحفوظ والتراتب أو الهيمنة/ 21) حسب جاك ديريدا (11)

(*)

مانراه عاديا يراه الفيلسوف غامضا، ومن أجل توضيح الغامض، يستعمل الفيلسوف السؤال وهذا ما فعله الفيلسوف عمانوئيل كانط مع المألوف اليومي، الذي صيرته حيواتنا بداهة متقاعدة، هاهو يتساءل:

ما هما إذن المكان والزمان؟

هل هما من الكائنات الواقعية؟

أو أنهما محددات للأشياء وحسب؟

أو أنهما نسب ما بين الاشياء حتى لو لم تكن مدركة بالحدس؟

أو أُنهما نسب لا صلة لها سوى بشكل الحدس وتاليا بالتأسيس الذاتي لفكرنا الذي من دونهما لا يمكن لهذه المحمولات ان تحمل على أي شيء؟.

هذه الأسئلة الكانطية الأنطولوجية، بتفرعاتها المتماسكة، لكل ما له موجودية واقعية..هذه الأسئلة تشترط علينا تراتبية رباعية التنضيد:

وسيكون الأمر بالطريقة هذه:

*راتوب الكائنات الواقعية

*راتوب التحديدات

*راتوب النسب الموضوعية

*راتوب النسب الذاتية..

إن الفيلسوف كانط هنا يقتبس هذه التقسيمات للواقع، من خلال فصله بين:التحديدات/ الإضافات

وحتى نقترب من كانط، علينا أن لا نهرع إلى كتابه الأشهر، أعني (نقد العقل الخالص)..بل إلى كتاب أقدم منه اعني (علم الحس)، وسأقترض من ورقة المفكر (فانسان ديكومب) المعنونة (الإضافة/ ص211) وهو يناقش مقولة الإضافة الأرسطية..واقول بعد قراءتي المنتجة لهذه الورقة:إن عمانوئيل كانت ينطلق من أمر بحكم المسلمات، في حين المطلوب هنا إجراء تعديل أساس في القسمة التقليدية للمحمولات إلى مقولات ضمن قسمة الكائن الواقعي..إن تصنيف كانط خاضع لتقابل

كبير بين: الكيفية ــ النمط، أقصد بالكيفية هنا:كيفية وجود الجوهر الكائن في الذات.أما النمط فأعني: نمط وجود كل المحمولات الأخرى الكائنة في غيرها..والملاحظ أن كانت يضم كل الاغراض في مقولة واحدة

ويعزل الاضافات في حيز آخر.. لكن علينا أن نعي جيدا أن إضافات الفيلسوف كانت لا يتأتى تميزها من مقوليتها كأعراض، بل لأنها تشكل شيئاً آخر غير ذلك..وحتى نفهم مقولات كانت، علينا أن ننتبذ بعيدا عن إجراءات العقل الكانتي حتى نتمكن من القول التالي: الأعراض توجد في الأشياء، بينما الإضافات هي معطاة بين الاشياء

(*)

الإضافات/المحمول

لا بد من محاورة ورقة المفكر (فانسان ديكومب) (12) وفقا لإجراءاتي الاتصالية وستكون لي إضافاتي الشخصية، لا إضافاته..وسيكون ذلك دون مساس بإجراءاته الرصينة.لا خلاف مع ديكومب أن منطق الإضافات ينطلق من معنى أكثر عمومية عن المحمول:

سآخذ بالنسبة لي كقارىء منتج جملة عربية للتوضيح، ثم أستخرج منها: الإضافة/ المحمول

تولّه قيس في عشق ليلى..

اقوم بتقويس الاسمين في الجملة الثانية

توله (قيس) في عشق (ليلى)

في الجملة الثالثة نثبت المحمول فقط وهو كالتالي:

توله في عشق

هنا سنكون أمام محمول تعددي، فعل يتطلب مفاعيل، ولدينا محمول أثني، يحتاج موضوعيّ حمل..:هنا سأفترق عن المفكر فانسان ديكومب، افتراقي محدد بالاستعانة:هو يستعين بالعالم (تشارلز ساندرز بيرز) لتوضيح الامر.. أما انا القارىء المنتج فأستعين ب (رينيه جيرار) وتحديدا بكتابه

(الكذبة الرومنسية والحقيقة الروائية) (13)

* الراغب

*المرغوب

*الدليل إلى الرغبة

ويصنّف رينيه جيرار الرغبة وفقا لأغراضها المشتركة:

*رغبة التشارك ويتشقق منها التعاطف البشري

*رغبة التفرد التي ترفض التشارك ويتشقق منها التنافس

ومن التنافس حين نكشطه نرى منظومة تحتوي:

*الغيرة/ الحسد/ الكراهية/ العنف

والرغبة تتأطر بنوعين من الوساطة: برانية/ جوانية

البرانية: شخصيات تجسد مُثلاً وقيماً

*الجوانية: يكون الوسيط حقيقيا وموجودا عند مستوى الشخص الراغب نفسه ويتحول في هذه الحالة إلى منافس ثم.. عقبة تقف حائلا دون امتلاك الغرض المرغوب، فتزداد قيمة هذا الأخير مع احتدام المنافسة..

وما يطرحه الفيلسوف كانت مفصلا وبتعال فلسفي مشروط، سوف يبسّط الفيلسوف برتراند راسل (1872 ـ 1970) في كتابه عن سيرته الذاتية الفكرية، من خلال التراتبية الثلاثية التالية:

الأشياء ـــــــ خصائص ـــــــ إضافات

ويعني بذلك أن الاشياء تنوجد أولا ثم تنماز بخصائصها وبعد ذلك، تأتي الإضافات.

(*)

نفور الفلاسفة

هناك مَن يعترض قائلا: ليست الفلسفة وحدها مَن تسأل. إن العلوم كلها لا تتوقف عن إنتاج الأسئلة وسنقول له نحن معك..ولكن لا يكفي أن تسأل فالعلوم أسئلتها برانية التوجه، أعني انها لا تسأل ذاتها، بل موضوعا خارجها وهذه هي ديناميكية سيرورتها، كأن العلوم الموضوعية لها ثقة نرجسية

مطلقة بذاتانيتها..وهي بهذه الطريقة تحصن وترصن حقلها الاشتغالي.. أما الفلسفة فهي وحدها التي لا تكون دون جرثومة السؤال المتواصل.. فهي تنتج السؤال ثم تسأل عن السؤال أيضا: ماهي القوة الدافعة للسؤال؟ كيف يتشقق السؤال؟ ولماذا هذا السؤال وفي هذه الحقبة؟ وماهي نتائج ذلك؟ وحده الغريب من يكتشف المختلف، وسيكون الاكتشاف مصحوبا بالدهشة..ولا تكتفي هذه بفتح العينين والشفتين..إذ سرعان ما تصوغ من الانفتاح المزدوج سؤالا بالقوة حسب المنطق الأرسطي.والسؤال سيحّول المتسائل حفارا معرفيا يتقصى الأصول ويضفرها بالجذور.. ويفككها ويختلف مع تساؤلاته قبل اختلافه مع السؤال النقيض..دون الوصول إلى نهايات سعيدة كما في الأفلام الرومانسية، أو إجابات قاطعة كما يفعل المفوه الإعلامي وهكذا تكون الفلسفة قد أدت الإمانة الوظيفية حسب حقلها الإنتاجي والأمانة كما يخبرنا ياسبرز* أن لا تخون الفلسفة نفسها، وحين نكشط كلمة خيانة سنجد تحتها: الحلول السحرية الناجعة والنهائية..وتجذبني العودة إلى التوقف عند (غاتاري) و(جيل دولوز)* فهما يريان أن الفلسفة ديمومة فاعلية إنتاج المفهمة..وقبلهما ألح هيغل على الضرورة النسقية للفلسفة....

الفيلسوف ينحاز للترفع لا للتبضع، هكذا ترى قراءتنا المنتجة وهي تطوف حول التاريخ النقدي للفكرة، وللتعيين الفيلسوف هنا هو عمانوئيل كانت الذي (كان على يقين من أن تنظيم المجتمع المدني حول مجموعة مشتركة من الغايات هو أفضل أخلاقيا من تكوينه طبقا لمتطلبات السوق/ 222ص)(14).. وهنا نلاحظ أن كانت كان من الرافضين لاشتقاق أخلاق سياسية من اقتصاد السوق..وفي نفس الوقت رأى بالثورة

الفرنسية (هي البيت الأول الذي ينظم الاستخدام الكلي والعمومي للعقل، ولكن ما إن اقتنع بأن الحريات المدنية قد تعرضت للخطر حتى سحب نفسه/ 224)..

ولا تختلف مناصرة كانت للثورة عن سواه أمثال هيغل/ شيليغ/ غوته/ فخته/ بيتهوفن....وسيفترق الفيلسوفان في منظورهما للوجود سيكون هيغل في معزل عن أفق كانت وحصريا ثنائياته..حيث سيدون هيغل في رائعته الفلسفية العظمى (فنومينو لوجيا الروح).. (كان كانت مخطئا..أن جوهر الأشياء يمكن أن يتجلى في العالم، والعقل غير موجود قبليا، فهو لا يتحقق إلا في الممارسة باعتباره مجموعا للتفاعلات الواقعية والحسية التي يتكون منهاالتاريخ البشري 15) والآن يحق لنا أن نتساءل، كما تساءل المجتمعون في مؤتمر دولي نظمه مركز جورج بومبيدو (أي فلسفة للقرن الحادي والعشرين؟)..حين نقرأ الأوراق المشاركة في المؤتمر الدولي نتساءل كيف أصبح أرسطو الفيلسوف الإنموذج دون سواه؟ هل أرث أرسطو الفلسفي هو هو؟ ألم يتعرض للمتغيرات كما أكد المترجم أنطوان سيف في ص44 من الكتاب نفسه (أيّ فلسفة للقرن الحادي والعشرين)؟!

أين هي إذن المتغيرات الفلسفية، في حياة تجاوزت بيئة أرسطو ملايين المرات؟ هل حقا لا جديد تحت شمس أرسطو، وهل كل الفلسفة التي تلت أرسطو ولحد هذه اللحظة الفلسفية لا تتعدى أفق: (التشكل الكاذب) حسب علماء التعدين؟، هل فشلت الفلسفة في خطف أنفاسها؟ وفي صوغ أشكال تعبيرها الخاصة والنقية من شوائب منطق أرسطو؟ هل فشلت في تطوير شعورها الخاص بذاتها تطويرا كاملا؟ هل كل منجز الفلسفة هو محض عودة الروح الأرسطية للفلسفة؟ إلا يؤدي الى ذلك

تخثر الدم الفتي في عروق ميتة لكائن فلسفي اكتملت دورة منذ زمن ليس بالقصير؟ أليس في ذلك أمبريالية فلسفية، تلغي التشارك الفلسفي وتتشبث بالواحد الذي يمثل المركزانية الاوربية، ونلاحظ هنا أن هذه المركزانية تناست (أن التركيب الباطني لأية حضارة هو نفس التركيب الباطني لكل الحضارة/ ص13) 0(16) ولا توجد ظاهرة واحدة ذات قيمة عميقة في الصورة التاريخية لحضارة ما دون أن يوجد ما يقابلها تماما في غيرها من الحضارات..هذه الاتصالية الحضارية يطلق عليها إسوالد إشبنغلر (ظاهرات متعاصرة) من هنا يرى هذا الفيلسوف المنعوت بالمتشائم والرجعي ثمة متقابلات حضارية يجب الإقرار بها وهي كالتالي:

فيثاغورس ـ ـ ـ ـ ـ ديكارت

الإسكندرية ـ ـ ـ ـ ـ بغداد العباسية

بغداد العباسية ـ ـ ـ ـ ـ واشنطن

ألا يدخل توكيد هذه الواحدية الأرسطية، على فاعلية تتأفق بأفق (أركيولوجيا التوهم)؟ ❋

تأتيل ثان

ترى قراءتنا عبر إنتاجيتها..أن الاوراق النقاشية العشر، اشتغلت على تثبيت الواحد (أرسطو)عبر مبدأ (العلاقة والترابط)، وتأفقت بأفق النسيج والتصور الذي فرضته المركزانية الغربية بانغلاقها وهكذا أعادت الأوراق نسق المتعدد إلى واحدية الواحد الأرسطي..؟! إذن أدت الفلسفة بكل أمانة وظيفتها في تحجيب التنافض وتسيّد الوحدة وتحدد الكائن كحضور

علاماتي محض، وهكذا استعملت الأوراق التاريخ الفلسفي للفلسفة* لحراسة فلسفة المركزانية الأوربية المحكومة بسرمدية الحضور الأبدي والحقيقة الكونية المطلقة وتراتبيا هذه المركزانية تشكل الراتوب الأول بين ثقافات العالم..!!

(*)

ورقة جيل غاستون غرانجي

عنوان الورقة (المكان)..تحيلني الورقة إلى كتابه (فكر الفضاء) المترجم إلى العربية من قبل د.علي دعيبس ولي قراءة خاصة عن الكتاب تجعلني أرجيء قراءة هذه الورقة..

❖مكتبة البحث

*هذه الدراسة، منشورة، في مجلة/ الثقافة الجديدة/ بغداد/ شباط/ 2013/ ع355

*قراءة مجاورة: في الملتقى الأخير للقصة العراقية الذي انعقد في (17 ـ 19/ كانون الثاني/ 2009) كان وفد اتحاد ادباء البصرة يتكون من ثلاثة أعضاء ثريا الأدب العراقي أستاذنا محمود عبد الوهاب (طيب الله ثراه)، والأستاذ الناقد جميل الشبيبي ومقداد مسعود، وكانت ورقة الصديق الشبيبي عن مدن اليوتوبيا في الادب العراقي، وكانت ورقتي تعقيبا على ورقة الشبيبي، لكنني اجترحت نوعية جديدة للقراءة إذا جاز القول، فلم تكن ورقتي تعقيبا بل (قراءة مجاورة) فالتعقيب أراه حركة عمودية ملتصقة بالتي قدامها

أما التجاور فحركة أفقية بينها وبين الجوار فاصلة حرية..وقد نوهت شخصيا عن ذلك قبل قراءة ورقتي..وبعد انتهاء الجلسة تناقشت مع بعض الأصدقاء والأخوة وقبل ليلة القراءة قرأت الورقة في حضرة أستاذنا محمود عبد الوهاب..ثم اتصلت تلفونيا بالأستاذ جميل وأعطيتهُ ورقتي ليقرأها..واستحسن استاذنا محمود نوعية القراءة، كما أن صاحب الورقة النقاشية، احترمَ وجهة نظري في نوعية القراءة الجديدة...

*يفترض أن تكون هذه الدراسة هي القسم الثاني، فالقسم الأول، كان عنوانه (الفلسفة/ السؤال) كتبته قبل انتشار تداول الكمبيوتر، حول كتاب(فلسفة القرن العشرين)/ مجموعة مقالات فلسفية في المذاهب الفلسفية الكبرى/ نشرها/ داجورت.د.رونز/ ترجمة عثمان نوية/ راجعهُ الدكتور زكي نجيب محمود/ الناشر مؤسسة سجل العرب/ مصر/ ط1/ 1963..يضم الكتاب أوراقاً بحثية لنخبة من فلاسفة أوربا وأمريكا... لكن البحث الذي كتبتهُ (تبخر)؟! لأسباب مجهولة لحد الان..!!

(1) مجموعة من المؤلفين/ أيّ فلسفة للقرن الحادي والعشرين؟/ ترجمة أنطوان سيف/ مراجعة الحسين الزاوي/ المنظمة العربية للترجمة/ بيروت/ ط1/ ايار/ 2011

(2) يوجين فارغا/ رأسمالية القرن العشرين/ ترجمة أبو بكر يوسف/ دار التقدم/ موسكو/ ط2/

(3) جاك ديريدا/ في علم الكتابة/ ترجمة:أنورمغيث/ منى طلبة/ المركز القومي للترجمة/ القاهرة/ ط2/ 2008

(4) محمد مبارك/ مقاربات في العقل والثقافة/ دار الشؤون الثقافية/ ط1/ 2004/ ص108

(5) ميشال فوكو/ نظام الخطاب/ ترجمة محمد سبيلا/ دار التنوير/ بيروت/ 2006

(6)هشام غصيب/ نقد العقل الجدلي/ دار التنوير/ بيروت/ ط1/ 2011/ ص54

(7) فيليب مانغ/ نسق المتعدد أو جيل دولوز/ ترجمة عبد العزيز بن عرفة/ دار الحوار/ دار الكنوز الادبية/ بيروت/ ط1/ 1995

(8) هادي العلوي/ كتاب التاو/ لاوتشو/ ترجمة ودراسة هادي العلوي/ دار الكنوز الادبية/ بيروت/ ط1/ 1995

(9) فيليب مانغ/ نسق المتعدد/ ترجمة عبد العزيز بن عرفة/ دار الحوار/ سورية ـ اللاذقية/ ط1/ 2003

(10) محمود أمين العالم/ ماركيوز أو فلسفة الطريق المسدود/ دار الآداب/ بيروت/ ط1/ أيلول/ 1972

(11) جاك ديريدا/ عن الحق في الفلسفة/ ترجمة د.عزالدين الخطابي/ مراجعة د.جورج كتّورة/ المنظمة العربية للنشر/ بيروت/ ط1/ تشرين الاول/ 2010

(12) رينيه جيرار/ الكذبة الرومانسية والحقيقة الروائية/ ترجمة رضوان ظاظا/ مراجعةد.سعود المولى/ المنظمة العربية للترجمة/ بيروت/ ط1/ أيار/ 2008/ فصل مثلث الرغبة/ ص31 ـ

(13) جون أهرنبرغ/ المجتمع المدني ـ التاريخ النقدي للفكرة/ ترجمة د.علي حاكم صالح ـ د.حسن ناظم/ المنظمة العربية للترجمة/ بيروت/ ط1/ شباط2008

(14) هيغل/ فينومينولوجيا الروح/ ترجمة وتقديم/ د. ناجي العونلي/ المؤسسة العربية للترجمة/ بيروت/ ط1/ 2006

(15) ازوالد اشبنغلر/ ثلاثية تدهور الحضارة الغربية/ الجزء الأول/ ترجمة أحمد الشيباني/ منشورات دار مكتبة الحياة/ بيروت/ ط1/ 1964/ ص 15

عنوانات وردت في البحث

*النبي المسّلح/ هو الجزء الأول من ثلاثية أنتجها المفكر الماركسي إسحق دويتشرعن (ليون تروتسكي): النبي المسّلح/ النبي الأعزل/ النبي المنبوذ/ ترجمها الى العربية وقدم لها: كميل قيصر داغر/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت/ ط1/ 1981

*جيل دولوز/ نيتشة والفلسفة/ ترجمة أسامة الحاج/ مجد للنشر والتوزيع/ بيروت/ ط1/ 2011

* جيل دولوز ـ فيلكس غثاري/ ماهي الفلسفة/ ترجمة وتقديم/ مطاع صفدي/ وفريق مركز الإنماء القومي/ مركز الإنماء/ بيروت/ ط1/ 1997

*إركيولوجيا التوهم/ من كتب الفيلسوف جاك ديريدا، يشتغل فيه على مفهومات سيجموند فرويد

*بخصوص الفيلسوف ياسبرز..ينظر في مقالتنا(الفلسفة كتوقيع) المنشورة في مواقع الشبكة العنكبوتية

*(عصر الرأسمال) أقصد هنا الكتاب الذي يشكل الجزء الثاني من ثلاثية الفيلسوف الماركسي(أريك هوبزباوم): عصر الثورة/

عصرالرأسمال/ عصر الإمبراطورية/ المنظمة العربية للترجمة/ ترجمة د. فايز الصبّاغ/ مؤسسة ترجمان/ ط1/ بيروت/ 2008

في.....حماية هيغل..

عصرنا كله سواء من خلال المنطق

أو من خلال الإبستمولوجيا

سواء من خلال ماركس أم نيتشة

هو عصر يحاول أن يفلت من

هيغل...

ميشال فوكو

❖نهاية الفلسفة كوظيفة...

لا يمثل الفيلسوف الضمير الفاسد لعصره، إلاّ.. لأنه يفضح الفاسدين الذين يضخون على الأحياء هواء مستعملا رثا..ذلك لأن هذا الفيلسوف يعي جيدا أن..(التاريخ بكليته هو التفنيد التجريبي لمقولة النظام الكوني للقيم المزعومة/ ص5/ نيتشة/ زرادشت/ عن الألمانية علي مصباح/ دار الجمل/ ط1/ 2007) وحين يقول الفيلسوف نيتشة ذلك التوصيف عن الفيلسوف..فهو لا يستثني نفسه (..حقيقتي فظيعة، ذلك أن الكذب هو الذي ظل يدعى حقيقة حتى الآن..) حين يشعر الانسان، بإنتباذه عن فردوسه، يطوقه الاغتراب والتشيؤ، في هذه اللحظة تشع الفلسفة نورا

يتوافق مع الفكر الإنساني....ف (عندما يفهم الفكر العالم بأن يتعرف على نفسه فيه، يشعر كأنه في بيته، إن الهدف من الفلسفة هو أن تفهم الواقع وتجعله مقبولا/ ص44هيغل/ سلسلة أعلام الفكر العالمي)..لكن هناك من يلحق الفلسفة بسلسلة من النهايات أوالميتات بدءاً بنهاية التاريخ الذي أعلنهُ هيغل أو موت المطلق الذي أعلنه نيتشة في 1882 أو موت الإنسان الذي رآه روجيه غارودي في البنيوية، وقبلهم رأى داروين: (البشر مجرّد جزء عابر من الصلة بين كائنات الأميبا وبعض التحولات المستقبلية/ ص 162/ جون كارول) وكذلك موت المؤلف الذي أعلنه الناقد البنيوي الفرنسي رولان بارت..في حين يعلن فرنسيس كريك الحائز على جائزة نوبل في البيولوجي(ان الروح تجمّع للخلايا العصبية/ ص166/ جون كارول)الآن..وتحديدا مع ثورة الاتصالات، تراجع دور الفيلسوف الموسوعي ومعه تراجع البحث عن الجوهر والغائية، وحل التخصص ومنهج البحث الحديث، وسادت الفلسفات الوضعية التي شنت هجوما شرسا ضد الميتافيزيقيا..هذه المتغيرات المجتمعية والتي لها مؤثريتها في البنية الفكرية، تجعلنا لا نتساءل (ما هي فاعلية الفيلسوف الآن؟).. بل نحاول صوغا مغايرا..ما الفلسفة الموائمة لعصرنا؟ أو ما هي الشروط الواجب توفرها الآن في الفيلسوف؟..هل نحصر مهمة الفيلسوف في المفهمة؟ كما حدد دولوز مهمته كفيلسوف، دولوز الذي قال عنه الفيلسوف فوكو بمناسبة صدور كتابين لجيل دولوز هما الاختلاف والتكرار ومنطق المعنى(في يوم ما قد يصبح هذا العصر دولوزيا)..أم يبشّر الفيلسوف بسيادة العولمة، ويدعونا إلى الاستسلام لها..لماذا اختفى نموذج سارتر الفيلسوف الجماهيري، المشارك بشخصه في انتفاضة آيار

1968؟ من جعل الفلسفة تطبخ احترافيتها في الجامعات، وتحذف التاريخ والسياسة وأنظمة السلوك النفسية والمجتمعية..؟

❖اليسار الهيغلي

تحقيبيا كان تيارالهيغليين الشباب مقبولا..أعني بذلك حكم الهيغليين الشباب على الأمور الحقيقية التي لم تستكمل شروطها، حكما منطلقا من المثال الأعلى النظري..وسبب تقبلنا لها أن هيغل نفسه في 13/ 10/ 1806

رأى نهاية التاريخ جسدت روح الثورة الفرنسية، بشخص نابليون بونابرت..والتساؤل هنا أن هيغل نفسه يضع للتاريخ نهايةً مجسدةً مكتملة الأبعاد..أما بداية التاريخ فليس لها حتى حدود جغرافية بالنسبة لهيغل.. والسبب الآخر لتسامحنا مع الهيغليين الشباب..أننا نترفق بهم بذريعة التحقيب..أما الآن فالمسافة ليست هينة بين بداية القرن التاسع عشر والقرن الحادي والعشرين..ولا نقصد المسافة بطولها بل بمكتسباتها العلمية والتقنية..ومن يحيى هذه الهيغيلية التي استنفذت كل مقوماتها لابد أن يكون خارج التغطية...أو تقمصته حالة من وعي زائف..

ليس هيغل محض فيلسوف عابر في عقل أوربا وقد اكتملت الميتافيزيقيا الغربية بسماتها الكليانية، لم يجمّع هيغل فلسفته كقطع غيار من سواه ما قام به وعلى حد قول هيغل شخصيا (هو ترابط عضوي منذ بداية نشأة الفلسفة صعودا إلى قمتها الميتافيزيقة)..نعم لا إضافة ميتافيزيقة بعد هيغل وحسب هيدغر (بعد هيغل دخلت الفلسفة في المطاف النهائي والأخير)..وهناك من يتصدى لهذا الإعلان عن نهاية الميتافيزيقيا ويعتبره (تخريفا مثيرا للضجر/ ص28/ دولوز/ سياسات الرغبة) وقد يكون الإعلان عن النهاية، سببه اتساع

قبضة علوم: اللغة والإنثربولوجي والسيكلوجيا..وهنا يأتي جيل دولوز ليحرر الفلسفة ويعيدها إلى نهجها وأسئلتها التي لا نفاد لها...

في العقل الهيغلي تكون السيادة للموضوعي فالعقل والعقل وحده يحكم العالم وتاريخ العالم.. وفي هذا العقل الهيغلي يتموضع الإنسان كتوسيل لإنماء المطلق والكلي وكلاهما يتجسدان في الدولة والمجتمع المدني..

وهناك من رأى في هذا المنطق الهيغلي، أن الإنسان هنا يفكر به ومن خلاله لسواه..أي الإنسان مسخرا لخدمة سواه مثل الدولة والمجتمع المدني وأن هذا الامر سيحدث التشيؤ والاغتراب في الذات الانسانية التي تفتقد قوة إنتاج ذاتها..

❖هيغل أو الانتقال من الذهن إلى العقل..

استوعبَ هيغل الإرث الفلسفي، لكنه لم يكرر إنتاجه بل أجرى عليه فاعلية التمثيل الغذائي..إستوعب إفلاطون وأرسطو وصولا إلى ديكارت وكانط لينتج لنا بعدها العقل الهيغلي، الذي تفارق عن سواه من خلال مفهوم الديالكتيك..

❖كيف يكون التخلص من هيغل..؟

كل الذين أرادوا الفرار من سطوة هيغل، أدركوا أن العقل الهيغلي عقل محكم ولا يمكن إحداث فجوة فيه، بل عليهم الاستفادة منه من خلال(تحويره) كما فعل عقل البروليتاريا: كارل ماركس..حين انتزع الروح من الديالكتيك الهيغلي وزرع الفكر المؤدي إلى قوى الأنتاج..

باستثناء ماركس.. حين نقلب فلسفة أرسطو على رأسها، فسوف لن نحصل على أكثر من فلسفة توما الإكويني..فيستحيل قول أرسطو (اللذة ترافق العمل كما ترافق القوة الشباب) إلى (الفضيلة ترافق عدم النشاط كما يرافق التهاب المفاصل الشيخوخة/ ص61/ حسب ريجيس دوبريه)، باستثناء ماركس كل الفلاسفة الذين أعلنوا الفرار من سطوة هيغل استعملوا الجمالي والفني وسيلة للفرار ورفعوا الذاتية راية ً، وهم ينغمرون في الوجود اليومي برهفهم الفردي كله: كيركيغارد/ نيتشه/ شوبنهور/ برغسون..وهنا يتشقق السؤال التالي: هل الفرار من موضوعية العقل الهيغلي، حقا بمثابة العودة إلى الأشياء في بكارتها..وسيكون لكل فيلسوف عودته إلى شيئه هو:

* برغسون ينغمر بالحدوس والطاقة الخلاقة..

*نيتشه:يعلن إرادة القوة..

* كيركيغارد يفلسف توحده فنيا، ومع صعود الفلسفة الوجودية في القرن العشرين ستجعل من كيركغادر الأب الروحي لها..

*شوبنهور: ميتافيزيقيا الجميل..

*جورج باتاي فيلسوف اتصالية: الرغبة والموت كما ترى قراءتنا

* جيل دولوز: إيقاظ مفهوم نائم

* جورج غادامير اشتغلت فلسفته على اتصالية: التأويل والحقيقة.. التي توصلنا إلى أهمية اللغة وهذه تجعلنا إزاء النص..وسوف يستدعي النص أفق القارىء..

*ميشال فوكو.. الأركيولوجيا خريطته لأنماط السلوك المتصلة بالجينالوجيا المنفتحة على ارادة القوة لدى نيتشة..وسيكون أقرب الفلاسفة في السلوك وشعرنة المنكتب، الى نيتشه ليس فوكو بل

*الفيلسوف (سيوران)..الذي يشعرن نصوص الفلسفة بنسبة عالية

(*)

ضمن الحقل الفلسفي، هناك قراءتان للتاريخ، حسب (بورديو):

*التاريخ الفلسفي للفلسفة

*التاريخ التاريخي للفلسفة..

القراءة الأولى تتناول البراهين العقلية ضمن الحقل الفلسفي..وهكذا تكون قراءة جوانية للمنجز..

القراءة الثانية تتناول الفلسفة من خارجها، وتشترط على قارىء الفلسفة

البدء من الجذور الفلسفية، لتوضيحها وشرحها، وهنا تكون القراءة بعرض فلسفي للمسار الفلسفي في العالم...

(*)

هيغل..في كتابه (دروس حول تاريخ الفلسفة)..يشتغل على القراءة الأولى وقراءة الفيلسوف هيغل: أحدثت انعطافا في تناول سيرورة تاريخ الفلسفة من خلال اتصالية الكم والكيف الفلسفي أي كل مرحلة تضيف طمغتها وهي تتجاوز التي قبلها فلسفيا وتجعل الباب مفتوحا للفلسفة التي تليها، لكنه مثلما وضع للتاريخ نهاية نابليونية، فقد اعتبر هيغل فلسفته الهيغلية هي مسك ختام الفلسفة الميتافيزيقية، وهو في فلسفته يدعو إلى

الاستفادة من كل المنجز الفلسفي السابق..وهنا يتجسد المنعطف الهيغلي في تاريخ الفلسفة..فالمؤرخ للمذاهب الفلسفية، قبل هيغل كان يرى كل إضافة فلسفية، هي عملية نفي للفلسفة التي سبقتها، وهكذا جعل الاتصال الفلسفي يعتمد على النقض والإزاحة للفلسفة التي سبقتها....لكن ماركس يرى أن كل الفلاسفة اشتغلوا على تفسير الكون..أي أن كل فيلسوف يقدم إضافة أو اختلافا في وجهة النظر، وعلى أهمية فاعلية التفسير، يبقى تفسيرا لا يؤدي إلى المتغير المنتظر على يد الفيلسوف..إذن المهم بالنسبة لماركس، هو تجاوز التفسير إلى التغيير..

❖تفاعلية الفهم/التفسير

على أهمية مكانة الفيلسوف غادامير، فإن جهوده في الفصل بين الفهم والتفسير، وجعلهما في تفاعلية تضاد، باءت بالفشل..والسبب أن غادامير لم يقتنع بفاعلية الإتصال بين الهرمينوتيك والإبستمولوجي، وأن المنهجين يتفاعلان اتصاليا فيما بينهما..وسنلاحظ لدى الفيلسوف جورج دلتاي عناية مركزة على الجانب الإبستمولوجي، دون الالتفات للجانب الأنطولوجي، وحين يتساءل دلتاي: (كيف تفهم الذات الموضوع؟) يفنّد ريكو السؤال موضحا (..الذات مرتبطة بالوجود بل أن وضعيتها ووجودها ولقاءها مع ذاتها هو أسبق من لقائها بالمواضيع../ ص70/ ريكور) كما سيؤكد ذلك الفيلسوف (بول ريكور) في كتابه (من النص إلى الفعل)... إن الفلاسفة وهم يشتغلون على تفسير العالم أعطوا اتصاليات جديدة من خلال إنتاجهم لمفاهيم جديدة..ومن أجل معرفة اتصالية الفهم/ التفسير، حين نقرؤها سياقيا سنصل الى محورين جدليين بمزدوج قيمي:

*محور القراءة والتأويل

*محور النص والخطاب

*الفهم الهيغلي..

حتى نفهم الفهم الهيغلي سنحاول الانتقال من المجرد إلى المحسوس ويكون ذلك عبر استعمال النموذج..لنأخذ مثلا توصيف فلسفة هيغل بالمثالية..

يرى هيغل ذاته أن هذه المفردة(المثالية) تحدث إشكالا ولبسا في التعامل مع منجزه الفلسفي، فهو أولاً يحذرنا من استعمالها على وفق التضاد بين الواقعي/ المثالي..فالواقع هو ما هو كائن أما المثالي فهو ما يجب أن يكون وهو يقف على النقيض من الوجوب الفلسفي، والذي يمثله على المستوى الفلسفي، الفيلسوف فيخته، الذي أثّل فلسفته على الحدس العقلي الذي يؤكد على الشعور الخالص للذات، هذا الشعور الذي سيوصلنا الى أن المطلق نتاج إتصالية: الذات/ الموضوع.. في حين رأى هيغل في الإنسان ذاتا فردية وطالبنا بالتمييز بين عقلانية الذات وبين جسده البيولوجي ولا يمكن الوصول إلى (الوعي بالذات أو وعي الذات لذاتها) إلا عبر آخروية، ينظر الإنسان إلى ذاته نظرته لسواه أي لآخر والنظر هنا له أهمية الجدل الشرطي، ذلك لأن (بعض أنواع التفاعلات تنبىء الناس بحقيقتهم وبما هو على وجه اليقين مخالف لحقيقتهم/ ص10/ الأجساد الثقافية)..من جانب ثان أن حركة الوعي على وفق هيغل حركة معاكسة عبر فاعلية فردية، تقدر على المجابهة كما تقدر على التفكيك/ 230/ من النسق إلى الذات) أما على المستوى الفني فيتمثل بممثلي الرومانسية في عهده، ويتجسد ذلك في (حنين نوفاليس) و (سخرية فريدريك شليغل)

ماركس..

هومن أوقف خاصية الديالكتيكية الروحانية الهيغيلية على قدميها، وجعلها تسير بفاعلية تطور القوى المنتجة، وليست بفاعلية العقل المحض...

كما يتراءى لهيغل..والأخير في كتابه (دروس حول تاريخ الفلسفة) رأى في الفلسفة تجليات العقل المحض وهي أي الفلسفة، لا تلتقي بنفسها عبر وحدة الفكر إلا على وفق هذا التجلي، وهكذا لا يكون العقل الهيغلي حكمة تحقق غاياتها في العالم، بل هو عناية لاحقة بهذه الحكمة، وهي عناية منسجمة مع ذاتها، وهكذا يروحن هيغل الديالكتيك، جاعلا من المطلق حركة ومن حركته تتدفق سيرورة تاريخانية لا تاريخية، فالتاريخانية تشتغل على الحتم الذي لا فرار منه، في حين السيرورة التاريخية، تشتغل على التسيير الذاتي ولا تدعي الحتم..وبالطريقة هذه تزيح فلسفة هيغل البرزخ بين موضوعة العلم وموضوعة الإيمان، فكلاهما، يتذاوتان في شكل يوصلنا لمعرفة المطلق.من هنا يتضح لنا أن العقل الهيغلي، يغترف من التاريخ ليستعمله وسيلة توضيحية، لأطروحاته، عبر حزمة من المتناقضات منتقلا من المنغلق إلى المفتوح: من الموجود بذاته إلى الموجود لذاته..

من انغلاق البذرة إلى تشققها وظهورها من باطن الارض ونموها نباتا

وقانون التناقض الهيغلي هو شرط أساس إذ لا وجود لنمو غير متناقض والتناقض الهيغلي فاعلية تجسير للوحدة التي ستحدد نهاية التاريخ..

لكن الديالكتيك الماركسي، ينقض الديالكتيك الهيغلي، من خلال

تخليصه من الروحنة، والاستعاضة عنها بالقوى المنتجة، لذا فسيرورة المجتمع البشري ستكون في ديمومة، ضمن سياقها التاريخي، وهكذا سيتسع المجتمع البشري إلى مجتمعات بشرية..أن المنطق الهيغلي، يشتغل على الحتم التاريخي، فبموجب مبدأ الجوهر الذاتي على وفق المنطق الهيغلي (ما من شيء يستطيع أن يقفز متجاوزا زمنه)..وهذا المنطق خلاصة (السببية التكوينية) التي تنزع إلى تصنيع برزخ بين الجوهر وشروط وجود الظاهرة، والأمر على وفق الديالكتيك الماركسي، يعني:عزل البنية التحتية للمجتمع عن البنيان الفوقي، أي عزل البنية الاساسية بنية الاقتصاد عن البنى الاجتماعية الاخرى، مثل البنية الرئيسة أي البنية السياسية وبنى الفكر، من آيديولوجية وحقوقية وثقافية..وهنا أتساءل كيف يفعل هيغل عزلا بين تراتبيات البنى المجتمعية؟

هل الفلسفة، كالأدب لتحتمل السخرية؟! من أين لهيغل ذلك وهو يوظف السخرية ذاتها كبرهان فلسفي..وحسب قوله..(إذا ما كنت أمارس السخرية بهذا التواضع والتدلل، فإن سخريتي ستكون في خدمة برهان محدد، على اعتبار أن جدية المفهوم، حاضرة لدي في كل لحظة../ ص204/ عن الحق في الفلسفة/ ديريدا)...

(*)

بخصوص المنظور التاريخاني، ترى قراءتنا الاتصالية، أن ثمة اتصالية اندماجية ويمكن حصرها بالشكل التالي:

***اندماج الواقعي بالقيمي**

***اندماج نسقي:..النسق المتوالي بالنسق التدريجي**

ويرى هيغل في ذلك نموذجا راقيا من الموضوعية التي يقرؤها هيغل :(فكريا) أما ماركس فسوف يقرؤها: (أجتماعيا)...لكن هناك مَن يرفض قراءتيّ هيغل وماركس ويضيف رفضا ثالثا إليهما، الرافض هو الفيلسوف بول ريكو، أنه (يرفض فكرة الروح المطلق لهيغل، وكذلك التفسير المادي الاقتصادي للتاريخ والمعرفة، وحتى فكرة غادامير عن فعل التاريخ وتحكمه في وعينا بشكل مطلق بقيت فكرة غير مثمرة/ ص147 ريكو)

(*)

سنركز بإيجازعلى تفاعليات هيغل الفلسفية:

هيغل/أرسطو

أرسطو لم يكن من الذين ينجذبون للجدل، فالجدل لديه هو فضاء الاحتمالات المتعددة، وهو منطق السوفسطائين..في حين يرى هيغل في السوفسطائيين، فلاسفة من طراز خاص، وبجهودهم تأثلت مرحلة التفكير الحر الذاتي، التي استنبتت: المطلق كذات..وحين نتوقف قليلا عند السوفسطائيين نرى أن هؤلاء عبر الجدل اجترحوا، فنا يمكن أن نطلق عليه: فن اكتشاف التناقض الفكري، وسعوا إلى تفكيكه بطريقتهم متوجهين إلى معالجته بالحل أو الإعلان باستحالة ذلك..بالنسبة لهيغل فقد رأى في الجدل في بعديه الخاص/ العام..فالجدل الهيغلي هو قانون الفكر البشري، وكذلك هو قانون سيرورة الوجود أو يسمى ب (ديالكتيك الطبيعة)..والجدل يشترط ثنائية: الوجود/ العدم..وأن هذه السيرورة هي عجلة تطور المجتمع والعالم..وهذه الصيرورة بالنسبة لهيغل تشكل

جوهر فلسفته..وهي تتعدى الزمني لتحتوي اللازمني أيضا..من كل هذا وحسب معرفتنا المتواضعة بالفكر الأرسطي..أن ثمة اتصالية بين هيغل وأرسطو وتتجوهر هذه الاتصالية في مفهوم قنونة الفكر والوجود، التي يشتغل عليها الأثنان: أرسطو/ هيغل والاتصالية هي

*الكلي المتحقق في الفردي، والذي يتجسد في أن الخاص يتميز إذ يتحدد

* مفهوم تطور الوجود والذي يجسده هيغل في (علاقة ماهو بذاته مع ما هو لذاته) يقابله لدى أرسطو (ما هو بالقوة وما هو بالفعل..)

*اتصالية التجربة/ العقل: وهذه الاتصالية تعلن أن ما يستقر في العقل.. قد وصل من خلال الحواس..

_ 2 _

هربرت ماركوزة..حاول أن يعيد الروح لمفاهيم ذلك التيار الهيغيلي..

وذلك من خلال كتابه(الماركسية السوفيتية) وهو يتناول الحكم السوفيتي من 1952 إلى 1956 وكان الأصح أن يسمي كتابه الماركسية في عهد ستالين..

❖السياسي من خلال الإنساني

إذا كان الفلاسفة، قد انشغلوا بتفسير العالم، فإنهم شيدوا مفهمات عديدة تناولت العالم من زوايا متنوعة، إذ لابد للتراكم الكمي للتفسير من أن يوّلد مفهوما مغايرا للمفاهيم السابقة وهكذا (انحصر اهتمام الفلسفة الكلاسيكية في البحث عن أفضل نظام لحكم البشر، وفي هذا الإطار جاءت جهود

إفلاطون وأرسطو والفارابي، ولكن مع التحقق التاريخي للحداثة تغير موضوع اهتمام الفلسفة السياسية لينصب على البحث في الأسس التي يقوم عليها المجال السياسي كظاهرة إنسانية..

---

*يعلن فريدريك نيتشة (الفيلسوف يمثل الضمير الفاسد لعصره)

الفلسفة كتوقيع

ـ 1 ـ

كان المفكرون السابقون عمالقة بحق، أما أنا، وإن كنت مجرد عصفور، فإني أحط على رأس العملاق وأرى أبعد مما رآه

كارل ياسبرز

هكذا يعلنها الفيلسوف الوجودي كارل ياسبرز (1883 ـ 1969)، في آخر نص فلسفي كتبه بتكليف من منظمة اليونسكو...في مقولة ياسبرز لدينا نسق رباعي

*مفكرون سابقون عمالقة

*أنا مجرد عصفور وسيكون الأمر كالتالي

عمالقة ـــــــــــ عصفور

*أحط على رأس عملاق

*أرى أبعد مما رآه

أحط ـــــــــــ أرى

رأس عملاق ـــــــــــ رأس عصفور

إن قوة الرؤية مشروطة بتموضع الإحاطة.

أولا: تحيلني هذه المقولة إلى مقولة قالها نيوتن مفادها أنه يقف على أكتاف عمالقة سبقوه لذا يرى أبعد منهم

ثانيا: العصفور يستهلك ميراثه من إنتاج العمالقة لا ليكون محض امتداد لهم..بل ليكون إتجاها مضافا وربما متقاطعا مع الميراث المعرفي.. لكنه لا يمحو حضورهم..وليست العلاقة بين الواحد/ العصفور والكثرة العمالقة..علاقة بسيرورة ميكانيكزم..بل هي سيرورة تجاوز/ مغايرة.. العلاقة بين نيوتن وياسبرز هي اتصالية الفلسفة مع الفيزياء الكلاسيكية، أليست الفلسفة في نهاية الأمر هي المحرك للبحث العلمي ولابد أن يكون: (الدقيق)أو (الصحيح) من الأهمية بحيث يستحق البحث عنه، حسب كارل ياسبرز، ثمة أهمية لا يتيسر إثباتها بطريقة ملزمة ومؤكدة وإنما تأتي من علاقة بالكل وبالوجود وتكوّن العنصر الفلسفي الذي لا يستغني عنه أي علم حقيقي..

ـ 2 ـ

حتى تكون غير مكتملة، لابد أن تكون مرنة مفتوحة، وكيف تكون.؟

.دون أن تمارس رفضا مزدوجا؟ من خلال رفضها تتعرف الفلسفة على ماهيتها في مرايا الوجود البشري، حين تعي الفلسفة، انها ليست كائنا بين قوسي: الإثبات/ النفي..حين تعي الفلسفة أنها علامة إستفهام، لحظتئذ لا تتوقف عن تكرار إنتاج نفسها بطريقة خلاّقة وحين نرى نحن في الفلسفة تلك الرؤية النباتية الخصبة..كما رأى الفلاح الذي في الفيلسوف كارل ياسبرز..سننشر رؤيتنا نشر الأشرعة، الفلسفة هي الأول والآخر، البذرة الأولى هي الفلسفة والزهرة الأخيرة للتفكيرالعقلي هي الفلسفة، وهي

(الشامل) الذي يتبين من خلال تأثيره وفاعليته.المصباح..موجود، في حضور الفيلسوف ديوجينس وفي غيابه..مصباح الفلسفة ضرورة، منبثقة من فكر لا يتوقف عن سيرورة إزدواجه القيمي: التطفل/ الشك..

أما نوم ديوجينس مقرفصا في برميل فهي وجهة نظر مخرج متمرد ينتمي للمسرح الفقير، نرجو من مدرسة فرويد، أن لا تعتبر قرفصة ديوجين، ضرباً من حنين العودة لرحم الأم.. من خلال عملية التكشف المعرفي هذي، يصبح الوعي هو الشرط الضروري لشجاعة الإنسان لالتهام الحياة براحتيه وعينيه..وعيا منه: (المهم هو الإحساس بالواقع كله في أعماق الشامل).. هكذا تتخلق صيرورة رجحان المعرفة لا المشاهدة. هل هنا تكمن إشكالية تناول الوجود معرفيا..؟

ـ 3 ـ

الاكتمال..خديعة..قفل كبير..ركام أنقاض تتكدس في الدرب.. لتحويله نفقا بعين واحدة..المحذوف في الاكتمال، هو تسمية الاجتهاد: تحريفا، وكل تحريف: خيانة..في الدين يوازيها كل بدعة ضلالة..وكل ضلالة في النار..

الفلسفات المكتملة: تنز دما في سعيها للقبض على مطلقها، لتعلّقه ختم جزية بني أمية في أعناقنا كحقيقة مطلقة، إنها لا تقبض على الحقيقة، بل، على مصائر بشرية..بقدر ما أكون موجودا ممكنا أو بقدر ما أكون مدعوا للوجود: تستملك كينونتي حريتها حين تدركها كضروة أولى.

كقارىء منتج أحبو على شاطىء الفلسفة.. بوصفي وجودا ممكنا أفعّل اتصالية مع وجود آخر، وبالطريقة هذه فقط أقوم بمأسسة علاقة وجودية

بذاتي ومن خلالها أشيد جسراً معرفيا/ عرفانيا بين ذاتي والمتعالي..وهنا فإنني لا أجد نفسي في علاقة بالوجود في ذاته، فالوجود في ذاته: محض آخر لايمكن الوصول إليه ومن المستحيل استئصال الماضي كزائدة دودية.. فوجودي لا يخلو من ماض كنته أنا نفسي..وهذا يعني أن اللحظة الماضوية لها قوة الرافعة بالنسبة للمستقبل..أليس (أمس كان غدا) كما شخّص ذلك روائيا، القاص والروائي العراقي كاظم الأحمدي، وهكذا أنوجدُ أنا الحي لحد لحظة كتابة هذه الأحرف مع الراحل/ الحي (كاظم الأحمدي) من خلال حيوية نص الروائي الذي تتقوت عليه استجابتي كقارىء منتج.. إن العمق يفعّل اتصالية مع القدرة لدي..:عمق التفكير الفلسفي يشترط علي قدرة استيعاب الروح التاريخية الفعالة التي انبثق منها العقل الفلسفي بتنويعاته ومدياته المنفتحة، بالطريقة هذه تتصدى استجابتي للمعارف اليقينية وفي الوقت ذاته تحرص على تصعيد اتصاليتها بوجود المتعالي، وهي مستضيئة بمعرفة ذات سيرورة عالية وانفتاحات متنوعة..معرفة ذات طبقات جيولوجية (تضيء كل أحوال الشامل وجهاته) لكنها ليست بالمعرفة المطلقة كما أن وضوح الشامل الذي يعد وعيا بالحاضر الأبدي ما هو إلا وعي تاريخي في صورة زمنية ـ حسب كارل ياسبرز ـ

ـ 4 ـ

دائما(يسبق الموقف النقدي الذي يتخذه الفيلسوف من سابقيه أومعاصريه ..، الجانب الإبداعي لديه)(1) والمضحك حد الألم، أن كل فيلسوف، في داخله فرعون يصرخ، أنا ربكم الأعلى، فهو لا يتوجه للمشكلات مباشرة ليتعايش فيها/ معها، بل ينشغل بإثارة قضايا الفكر والوجود، لحسابه الخاص!! والسؤال هنا:هل يعاني الفيلسوف من غياب

وعي، ولا يحضر وعيه إلا.. والفلسفة تظهر للوجود، من تصنيعه..؟ فينشغل الفيلسوف في بناء صرح أمرد، ولا يسكنه؟!ولا يعرف الآخر كيفية الدخول وهو صرحٌ بلا أبواب؟!.. انغلق الفيلسوف على منظوره.. وترك لنا درسا أخلاقيا في الكيفية،..لا منهجا فلسفيا، به نهتدي، وبحسب الفيلسوف(سورين كيركغارد): (إن فيلسوف المذهب، لهو أشبه برجل ابتنى لنفسه قصرا شامخا ولكنه ظل يسكن كوخا إلى جواره..إن فكر الإنسان لابد من أن يكون هو المسكن الذي يعيش فيه.)...

إذا كان الوجود الذاتي الحميم، يتسم بالأصالة فإنه، حسب كارل ياسبرز:لا يبدأ بداية مطلقة، لأن هناك سياقات متتابعة على الطريق المؤدي إلى الموقف الراهن..يتوقف في ثلاثينيات القرن الماضي، والستالينية جيّرت الماركسية بدوكماتزم، ينز معسكرات إعتقال وحملات تطهيرية واتهام المختلف مع قبضتها الشمولية، بالتروتسكية، في الثلاثينيات ذاتها انبثقت مدرسة فرانكفورت، لتعلن عصيانها الفلسفي، بوجه الستالينية، من خلال إشهار بيان ولادة(النظرية النقدية)، وهي ماركسية بدون حتمية اقتصادية، فرضها، قائد ثورة أكتوبر(لينين)، وقبل مدرسة فرانكفورت، مع فجر ثورة أكتوبر1917، اختلفت المفكرة المناضلة روزا لوكسمبرغ، في أطروحات عديدة مع لينين، اثبتت اللحظة الراهنة، أن روزا لوكسمبرغ كانت على حق..

منيت مدرسة فرانكفورت عموما بفشلين محددين ـ حسب ستريناتي ـ

*أولا فشلها في العثور على إثبات أكيد لنظرياتها.

ثانيا اللغة الغامضة والصعبة التي عبرت بها عن آرائها(2)

ـ 5 ـ

هل الفلسفة: بنت دهشتنا العذراء؟ حين كان العقل يحبو على شاطىء المعرفة..؟ هل حبونا المعرفي هو الذي تسبب في تعقيد الواضح؟. هل التعقيد وصفة لغوية لحماية الفلسفة من التلوث المعرفي؟.أم أن التعقيد سنلامسه ما أن نحك بشرة الوجود..فكيف إذا غصنا، في قرارة الموجة؟ بين مرئية الإدراك المتحقق أو...القيام بتقويم حقيقي للإدراك في ماهية الإنسان، وبين اللامرئي الذي هو قوة المرئي بين الصوت والمعنى...

قوة الوجود: ميزت الإنسان بإنسانيته.

وحده الإنسان: القوة/ القدرة..

وحده...: الحضور/ الغياب..

قدرة الإنسان: تؤهله لمحاورة الوجود وهذا قدر الإنسان..لافكاك منه. أليس الإنسان وحده أثمن رأسمال في الوجود؟ وحين يصف الإنسان: الموجود كموجود، فهذا يعني أن الإنسان، يمتلك إدراكا للوجود.

الفيلسوف من خلال الإزدواج القيمي، يرى الوجود: وجودين الوجود الذاتي الحقيقي الأصيل.والوجود العلمي غير الأصيل عبر الوجود الذاتي، يكون التحقق/ المكابدات/ التجربة الباطنية..وهذا العلو الوجودي يخطف في حيواتنا كلمح البصر..ويمكن أن نطلق عليه: الوجود/ الرؤيا ومن هذه الومضة الوجودية:تتغذى تأملات الفيلسوف في عروجاتها..

إذن نحن في حضرة ضرب من الوجود لا تفكك شفرته إلا عبر الذوق الصوفي.

الإدراك: يتم عبر مجسات المعرفة، ومن خلالها يتكشف الموجود: معرفيا..والامتلاك المعرفي للموجود، لا يعني (كان موجودا و..ظهر)..بل ينبثق كما في ذاته معرفيا..وهكذا يقدم الموجود نفسه موضوعا للمعرفة، بعد أن أصبح الموجود: هو (الموجود ـ الظاهرة)..هذه السيرورة المعرفية، لحراك الموجود، تشترط أفق تلق بمديات مرنة..من خلال رؤية مضاعفة: تجاه.....معنى وجود/ وجود معنى.هنا أتساءل أين يتموضع المعنى داخل الوجود؟ إذا كان العالم هو ما نراه..إذن علينا أن نشحن الرؤية بالمعرفة، حتى نمتلك رؤية معرفية ومن خلال الملء، نقول:رؤيتنا..أين نقطة البدء؟ لنتوجه منها إلى معرفةٍ تتوازى مع البنية الأنطولوجية للموجود.

: تقديم الموجود نفسه موضوعا، لا يتم من خلال جهدنا المعرفي. بل يكون، ذلك من خلال: قوة المعرفة الدافعة فينا.إلا..يتم ذلك من خلال التوجه نحو الذات؟ أليس التوجه نحو الذات هو الذي يسهل تلاقينا مع الموجود؟

ـ 6 ـ

الفلسفة ليست المعادل الموضوعي للوجود، ولا غايتها: تصنيع العالم حسب رؤيتها، الفلسفة: تحاول الإصغاء إلى صمت الأشياء لعلها تحصل على غايتها. وحتى تتوافق الفلسفة مع رؤيتها للحقيقة عليها أن تفعل اتصالا، بمحتوى رؤيتنا الذي يدفعنا الى التفكيروفعل التفلسف يتدفق كمياه جوفية..فالتفلسف من الأفعال الباطنية.والفلسفة لا تعطى، وكل ما تستطيعه هو أن توقظ، وتذكر، وتساعد على الضمان والإبقاء. وهناك من ينفي الإطلاق..فهو يرى تنويعات الواقع لا تتوقف سيرورتها والناس لا تحد هذه التنويعات بإطر ثابتة. الناس ترى إلى التنويعات رؤيتها إلى

كائنات.. وتشخيصات العلم ليس لها إلزام الكتب السماوية..وهي لا تغور في تخوم الواقع السحيقة..علماً أن مفهوم الواقع تعرض إلى انزياحات في هندسته وصار يشمل في لحظته العابر والمتلاشي فليس الواقع هو التحدث بلغة الوقائع بل بلغة الأسرار الكبرى، وهذا الأمر مرتهن باستعمالنا للغة وكيفيات مدياتها المرنة وعلينا البحث عن مدخل جديد إلى لغة الحلم والحكي والأسطورة..لندرب وعينا على أبجدية (اللغة المنسية).*. ونعود إلى أسلافنا (أخوان الصفا وخلان الوفا) لنتعلم منهم(اللغات السرية في الطبيعة)*.هل بالطريقة هذه نكتشف الواقع في وحدة الشامل؟ في الكينونة؟ أم في الوجود المتعالي؟ أم عبر الاتصال بين الإنسان والحيوان والنبات؟ إن انفتاح الفهم على الواقع هو الذي يفضح الانحرافات المحتملة في قراءة الواقع ويتجوهر الإنحراف حين يباهل عنصر من الواقع بأنه التجسيد الحي للكلية والمطلق.. من نرجسية هذه المباهلة تستذئب علينا الأنظمة بين قطبي التوتاليتارية..متقنعة بالتشدد الأصولي، ملوحة لنا بقيمومتها على المقدس. كما فعل (المليايني) في رواية (المخطوطة الشرقية) للروائي واسيني الأعرج حيث يتوسل الأسلمة بتشييد الجوامع وتكتظ المكتبات بكتب علماء بيشاور وفتاوى طالبان وتختفي مؤلفات طه حسين وحسين مروة وكتب الاشتراكية ومؤلفات أدونيس وطوق الحمامة وألف ليلة وليلة و(المليايني) يحكم من خلال ديوان الجملكية(حكم جمهوري/ ملكي) أو بصعود العسكرتارية بكل جهلها الشرس..

لن ينكشف لنا الوجود بأعماقه إلا....حين يتجه الشامل فينا نحو الشامل في التاريخ..وهكذا تتفعل اتصاليةالذات/ الموضوع.

العقل/الفكر

هل ثمة اتصالية إبستمية، بين العقل/ الفكر؟

تشتغل أوليات العقل على التقعيد لإنتاج: عقيدة مؤدلجة./ ينفتح الفكر بمرونة مطاطية لمناقشة حتى العقيدة التي يحملها، في مجلد يربو على 1500 صفحة (الآيديولوجيا الألمانية) كارل ماركس، حمله لي بحميمية ماتزال تستوقفني جملة ماركس الثورية (كم ضيقة أنتِ أيتها الآيديولوجيا)..لأن منتجها ماركس لاغيره..ماركس الذي يعتبر عقل البروليتاريا، يكون هنا اثنين: ماركس العقل/ والمفكر ماركس..الذي جاء لا ليضيف تفسيرا فلسفيا للعالم، بل ليغيّر في سيرورة التأريخ من خلال القطع الإبستمولوجي..ماركس الآيديولوجي نفسه، يرى في الآيديولوجيا ورم دوكماتيزم، لأن الآيديولوجيا تنظير والنظرية رمادية اللون وشجرة الحياة وحدها الخضراء، كما يقول **غوته** على لسان فاوست، وسيقّوس (**لينين**)هذه الوحدة السردية الصغرى المقبوسة من مسرحية(فاوست) لغوتة، ويستشهد فيها على بطلان النظريات أمام سيرورة الحياة..الفلسفة تنقض أجوبتها..تحذف المنولوغ، تشيد ديالوجها، لتسأل سواها عن نفسها، وفلسفة ما بعد الحداثة انتقلت من حب الحكمة، من فاعليتها في إنتاج يوتوبيا البحث عن الحقيقة، واكتفت بتموضعها ضمن حيز أدوات بحث لإبداع المفاهيم، ندوّرها في أقفال أجواء الحقيقة...علما أن مفردها (مفهوم) تشتغل خارج سكون المعجم، داخل قوة الانخراط، المفهوم هنا متشخصن، يحفر الحدث، ليعتلي راتوبا في أعلى حادثاته، وهكذا تكون كينونة المفهوم عبر مأسستها لتكوين سواها، وإذا كانت الفلسفة مرآة فأصدق ما في هذه المرآة أنني حين أراني فيها، سأتعرف على أناي

اللامفكر فيها من خلالي أو أناي التي لم أقصدها...هل الفلسفة مرآة الاختلاف؟ أم هي تجسير للمفهمة بين الفهم واللافهم، حيث يدخل الزمانُ، المكانَ ليصيّره مختلفا، أليس الإختلاف هو الاسم الثاني للتغير.. التغير أليس هو الثابت الوحيد في صيرورتنا المؤدية إلى مستقبل الوجود. هنا في هذي النقطة اللامرئية، تستعيد الذات ذاتويتها وتحديدا من حيز فارغ ينتظر الملء.من تقاطع الممكن/ المستحيل حيث تعانق الكينونة الفكر..ربما بالطريقة هذه تكرر الفلسفة إنتاج مبرراتها المعرفية كعلم.. ضد حثالة الثقافة في كل العصور، من وصفهم يعقوب بن إسحاق الكندي في رسالته الفلسفية إلى الخليفة المعتصم بالله (ممن تتوج بتيجان الحق من غيراستحقاق/ ص22/ كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى/ تحقيق موفق الجبر/ دار معد/ دمشق 1997) هل الفكر..لسان العقل..لسان يكتشف الحياة من خلال متعة التذوق..وإذا كان كذلك على مستوى المجازالذي يغيظ الواقع، إذن للفكر رهافة اللسان وحساسيته النحيلة..وصُدق اللسان حين التذوق....وللسان رؤيا العقل، لذا توثقت الصلة بين اللسان وبين الصوفية وتراجع العقل ولا أقول تعطل..لغز الحياة (Riddle of life) لا ينوش مفتاحه العقل، ربما ألطاف الذوق تتوسله حبوا فالتذوق سيكون عبر لسان الرؤى (outlooks)من خلال غصون الإرادة/ العاطفة/ الإدراك وهذه الغصون الروحية تتغذى على جذر ثلاثي يتكون من: الدين/ الفن/ الفلسفة، من خلال اتصالية النسقين البراني/ الغصون.. والجواني/ الجذور..سيتم الاتصال باللامرئي، لاعبر المعاينة، بل بعروجات ذوق كشوفات المقامات، وعبر العقل سنتقن اللغات السرية في الطبيعة وسنفهم لغة النحل، وحين نحاورُ نحلةً سنعرف أي أنواع الزهور

كانت ضمن وجبتها الغذائية/ **ص45/اللغات السرية**..وهكذا سندرك أن خارطة بهائنا ستبدأ من الليلة السابقة لوجودنا.بسراج زيته هو ميراثنا من إنسوكلوبيديا أخوان الصفا وخلان الوفا.وصولا إلى نظرية الكمون لدى المعتزلي إبراهيم بن سيار النظّام.

ثبت

(1) كارل ياسبرز/ تاريخ الفلسفة بنظرة عالمية/ آخر نص كتبه الفيلسوف كارل ياسبرز./ نقله إلى العربية وقدم له د.عبد الغفار مكاوي./ دار التنوير/ بيروت/ 2007./ ص46

(2) د.جمال محمد أحمد حسين/ مارتن هيدجر/ الوجود والموجود/ دار التنوير/ ط1/ 2009

*د.صالح ياسر/ روزا لوكسمبرغ وإشكاليات التحليل ألإقتصادي للرأسمالية/ دار الرواد المزدهرة/ ط1/ بغداد/ 2009

*رضا الظاهر/ روزا لوكسمبرغ النسر المحلق عاليا/ دار الرواد المزدهرة/ ط1/ بغداد/ 2009

*اريك فروم/ اللغة المنسية/ ترجمة حسن قبيسي/ المركز الثقافي العربي/ ط1/ 1995

*جان ـ ماري بيليت بالتعاون مع فرانك ستيفان/ اللغات السرية في الطبيعة/ ترجمة فارس غصوب دار الفارابي/ ط1/ 2003

*واسيني الأعرج:

المخطوطة الشرقية/ دار المدى/ ط1/ 2008

جملكية آرابيا/ دار الجمل/ بغداد/ ط1/ 2011

المجرى وضمان التأثير

(بعد طول تأمل) للفيلسوف بول ريكور

الفيلسوف بول ريكو..في كل كتاباته يدعو القارىء إلى مأدبة فلسفية عامرة، وللقارىء:الحق المطلق في الرفض والاختيار، وحسب قوله(لا أدعي أن لي فلسفة خاصة بي أستعرضها من كتاب إلى آخر. بكل كتاب من كتبي هدف معين..يبدو لي أن ما يضمن اتصالية عملي هو ما يتبقى..) وريكور بحكم ثقافته البروتستانية، منشغل بسوء الطوية وحالة الإدانة وهو دائما يسأل نفسه:

ما الأرادة الحرة؟

ما الذي تستطيعه؟

ماذا يعني التأثير في جسد طيع أو غير طيع؟

ما هي الحدود الموجودة؟

أي أهمية للجانب الإرادي؟

.....

يا لهذا الفيلسوف الذي ينتج الأسئلة..الى ما لانهاية!!

(*)

قراءتي الأولى لكتاب (بعد طول تأمل)..كانت قبل أربع سنوات، وقدمت قراءة وجيزة للكتاب في صحيفة (طريق الشعب/ 22/ آب/ 2007)..لكنني قبل أيام قادتني يدي للكتاب ثانية..وحين انتهيت حضرني هيركليس في مقولته (أنت لن تنزل للنهر مرتين)..حقا لكل قراءة مذاقها وأخلاقيتها قراءتي الثانية.. استفزتني لنبش ذاكرتي الورقية...لذا تجيء قراءتي مشوبة بتداعيات/ وعودات لمنتوجات سابقة منها ثلاثيته السردية ودراسته القيّمة عن عالم الأناسة والمعنونة (كلود ليفي شتراوس/ البنية والتفسيرية) والمنشورة عام 1963 في مجلة Esprit، كما تستدعي مرجعيات مجاورة تدور في مدارات مجرة بول ريكور. جاء في (بول ريكور من سؤال الذات إلى انبثاق المعنى)/ عنوان مقدمة الدكتور عمر مهيبيل: (ما أن بدأت في كتابة هذه المقدمة حتى كان فيلسوف الإرادة قد غادرنا الى الأبد) يرّكز مهيبيل على ثلاث لحظات في مسيرة ريكور المعرفية:

* الذات في مواجهة الأنا

* الذات الفاعلة أو الذات ـ الفعل

* لحظة الذات الغيرية

يلي ذلك مقدمة المترجم فؤاد مليت..يتناول فيها حكاية ترجمة الكتاب كجزء من تكريم الأكاديمية التونسية للآداب والعلوم والفنون للفيلسوف ريكور

(*)

يحتوي الكتاب نصين مختلفين في الأصل والتوجه:

*بعد طول تأمل: هذا الفصل عبارة عن سيرة فكرية هي الصيغة

الفرنسية، الموجهة إلى قارىء معين/ وتحديدا إلى قراء اللغة الإنكليزية/ ص21

*من الميتافيزيقيا إلى الأخلاق: يشكل هذا العنوان المفصل الثاني من جهد فيلسوف الإرادة، وعنوان هذا الفصل فُرض على الفيلسوف/ ص22..والأمر ينسحب على نص السيرة أيضا، فهو نص أنجز بناءً على طلب من الناشر...

قراءتنا ستتوقف عند نص السيرة الفلسفية..أعني (بعد طول تأمل)..

(*)

المقالة سيرة فكرية محض لا يرد ذكر الذات إلا بشكل عابر..هنا يرّكز الفيلسوف على كتاباته ونشاطاته الفكرية ومؤلفاته، مما يجعل المقالة دائرة مغلقة على نخبة النخبة التي واكبت كتابات بول ريكور.. خلافا لذلك حين نقرأ(الحلم والواقع)وهو كتاب سيري يجمع بين السيرة الفلسفية والاجتماعية للفيلسوف(نيكولاس برديائيف1874 ـ 1948) وقد وهب الفيلسوف لقارئه أكثر من عنوان تفسيري لسيرته..منها(ترجمة ذاتية فلسفية) (تاريخ للروح ومعرفة الذات)(مركزية الذات)..

(*)

الأسلوب والاستقراء:

المقالة مكتوبة بأسلوب يذكرني بنتائج المختبرات والفحوصات التحليلية، لا يوصل الفيلسوف إلى القارىء سوى معلومات شحيحة عن حياته الشخصية، والفيلسوف صريح..يعلن عن ذلك في السطر الثالث من الصفحة الأولى(التركيز سيجري على ما طرأ على عملي الفلسفي من

تطور)(لا مجال للحديث عن حياتي الخاصة إلاّ عما كان موصولا بفلسفتي وعاملا على إيضاحها)..ثم يبرر الأمر إجناسيا:(الحديث عن ترجمة ذاتية لا يجعلني أغفل عن مطبات وعيوب هذا الجنس من الكتابة)..ثم يقدم ريكور إستقراء أرسطيا:

*لأن الترجمة الذاتية هي أولا حكاية لوقائع حياة ما فهي إنتقائية ككل عمل سردي

*الترجمة الذاتية هي تركّز بناء على هذا الوصف على المسافة الضارة النافعة.على وجهة النظر الإسترجاعية لفعل الكتابة.

*تكون هذه المسافة هي التي تميّز الترجمة الذاتية عن اليوميات.

*الترجمة الذاتية تركز على الهوية، أي على غياب المسافة الفاصلة بين شخصية السرد الرئيسة التي هي الذات صاحبة الترجمة وبين الراوي الذي يتحدث بضميرالأنا ويكتب بصيغة المتكلم... وأخيرا يختم ريكور هذا الاستقراء ألأرسطي بقوله:(وهكذا، فلست أرى بعد وقوفي على هذه الحدود، أن أزمع القيام به من إعادة بناء لمساري الفكري ينطوي على أية حجة أو سلطة يخلومنها عمل آخر ينجزه سواي...) في المبررات الذرائعية التي ينسجها ريكو حول تجنبه الكشوفات السيرية، ينتج لفطنة القارىء مستويات من تواريخ هامة منها:

*تاريخ تشكل السؤال وسلطته

*تاريخ الشكل الاستفاهمي للفكر

*تاريخ فكرة النقد

وهكذا كقارىء أراني أمام إستراتيجيتين:

*التموضع الاستراتيجي وهو طريقة وصف موقع المؤلف في النص..

*التشكيل الإستراتيجي وهو طريقة في تحليل العلاقة بين النص والنهج..

(*)

*المراهق

بول ريكور هكذا يبدأ(سأبدأ هذا السرد بما أحفظه من ذكرى السنة التي أمضيتها بقسم الفلسفة، إبان الموسم الدراسي 1929 ـ 1930، أيام كنت ابن سبعة عشر سنة)..نلاحظ هنا أن (الجسد) وأعلقّه كقارىء بين قوسين.. وتعليق بين قوسين فاعلية ظاهراتية يكررها أدموند هوسرل في أبحاثه وها أنا أقترضها منه..لأقول.. هذا الجسد المراهق ابن ربيعه المحتدم.. هذا الجسد محذوف سيرياً، لا شأن لذاكرة الفيلسوف ب(ذاكرة جسده)، الذاكرة معنية هنا بالفيلسوف الذي سيكون لا بالمراهق الذي كان..قسوة الحذف لا أحد يذّكر الفيلسوف بها. كقارىء أحاول أن أتجاوز عصيان اللغة إلى إرادة الفهم، لكن قراءتي هنا معلقة بين قوسين:

*قوس استولدته مراودتي للنص والمؤدية الى القبض على مفاصله، حيث تحول المسرود من الإبهار، إلى الوظيفي

*قوس يرفض كل سلطات الاستحواذ الدوكماتية: ويطالب بحقوق قراءة حرة غير مشروطة..قوس متحكم في منظومته السيميائية والإجرائية ويرى في أفق استجابته ندا لأي أفق آخر دون أي استنكاف أو دونية..

وحين أستعين ب(سلفرمان) سيجيبني(جسد الفيلسوف شيء آخر، إذ، لا يلج جسده حركة النص..جسده يكون متنحيا/ص221/ ج.هيو. سلفرمان/نصيات بين الهرمينيو طيقيا والتفكيكية/)

***الفيلسوف هنا يكتب على وفق الإستكتاب المشروط...**

***الكتابة عن الفيلسوف أو عن سيرة وجيزة للفيلسوف أو السيرة الفلسفية له..وضمن هذا الشرط سيكتب نصا سييرا لفلسفته.. من هنا ستكون سن السابعة عشرة للفيلسوف هي سنة الصدمة الفلسفية (أنها السنة التي اصطدمتُ فيها بتعليم مغاير لما كنت حصلتُ في سابق دراستي سواء أكان ذلك في الأدب أم في التاريخ أم في العلم/ص24)**

(*)

❖العائلة اختزاليا:

في رائعته (ألف وعام من الحنين)..يعيب الروائي الجزائري رشيد بو جدرة على بن خلدون، أنه اختزل سيرة عائلته بلحظة غرقها في البحر، ويواصل كتاباته دون التوقف عند هذا الخطب الجلل؟! وكقارىء لنص بوجدرة أرى أن تناول لحظة الغرق..كأنه جاء ليؤكد جعلها الجزء الغاطس، من جبل الجليد السييري..لأبن خلدون..الحال يختلف مع ريكور، عليه أن يكون اختزاليا بناء على تعليمات الناشر، وهو هنا محكوم بشرط صارم:

أن يكون اختزاليا..وامضا وهو يتحدث خارج النص الفلسفي أو سيرة النص الفلسفي، لذا سيكون حديثه عن عائلته كالتالي: (نشأت في مدينة ريف، مع أختي التي تكبرني قليلا، وفي حضن جدي لأبي، وبرعاية عمتي التي تصغرأبي بأحد عشرة سنة، وتوفيت أمي بعد ولادتي، وهلاك

أبي سنة1915مع بداية الحرب العالمية الأولى)..يرى ريكور أن فقدان الأب وشظف العيش، غيب البهجة عن العائلة، مما دفع الصبي وبالتالي المراهق ريكو، أن يجد في المعرفة: المعادل الموضوعي. في تلك الفترة حيث الحياة لم تحط بهالة معدنية من تصنيع النظام المعلوماتي، وحسب وصفه (لا وجود لوسائل إعلام ترفه الشبيبة)..وبسبب هذا اللاوجود... المرفه)إلتهم ريكو المقررات المنهجية كلها.. عام 1915 تقتل الحرب والد بول ريكو..وفي 1918 تقتل الشاعر والناقد الفني الفرنسي (غيوم أبولينير) مؤلف أروع مجموعة شعرية (كحول)..بسوريالياتها المدهشة في الفضاء النصي والتنضيد الطباعي.. وفي 2009 سنقرأ ضمن إصدارات دار الجمل كتابا سرديا لغيوم أبولينير (مغامرات الشاب دون خوان) ت: محمد المزديوي..

(*)

❖بورتريت: مرجعية ثقافية

تميّز ريكور بثقافة مزدوجة(توراتية/إغريقية)، وسمت كتاباته الأولى(بمسحة دينية باطنية ترنو إلى بلوغ تأمل ذاتي يجعل من الأخلاق المسيحية، عنوانه الأبرز) ولكن ريكور لم يؤطر جهده في نسق واحد.. بعد مؤلفاته (فلسفة الإرادة 1950) (رمزية الشر1960) (الزمان والحكاية/ ثلاثية 1985) شخصياً مِن خلال قراءتي الخاصة أرى في ثلاثية الزمان والحكاية: معلما من معالم الفكر المعاصر..ولم يكن مؤطرا جهده في هذا المجال فقط..لقد استوقفته البنيوية، لا كما بهرت رولان بارت أو استفزت روجيه غارودي فكتبَ منفعلا(البنيوية موت الإنسان) استوقفته

في توظيفاتها لفتوحات الألسنية المعاصرة.. (في الستينات بدأ النقد البنيوي في فرنسا يأخذ أبعادا كبيرة على صعيد الدراسات التطبيقية. وبخاصة استرعت قصيدة (القطط) للشاعر بودلير إهتمام ممثلي هذا النقد الحديث فقام بدراستها وتفسيرها تفسيرا لسانيا كلود ليفي شتراوس عالم الإناسة الشهير) ورومان ياكوبسون، عالم اللغة المعروف كواحد من أقطاب اللغويات المعاصرة*.. وكان ريكور يثمّن في البنيوية صرامتها المنهجية..... وفي هذا التثمين المعرفي، يشاركه الفيلسوف بياجيه، الذي كرّسَ اهتماما معرفيا خاصا بالبنيوية التكوينية، وتحديدا عام 1950أي بعد مرور عشر سنوات على موقعه الوظيفي كمدير المختبر النفسي، حيث انشغل بنظرية المعرفة وتطورالأمر إلى دراسة استقرائية للميكانيزمات النفسية الضرورية لإنشاء مختلف أشكال المعرفة/ ص210/ اينو دوزي/ جدلية علم الاجتماع بين الرمز والإشارة/ الفصل الخامس/ البنيوية التكوينية لجين بياجه..)

(*)

ريكور.. توقف طويلا عند ديالكتيك ماركس الذي يتصدى لميكانزم اللا تطور.كما توقف عند التحليل النفسي، وكانت النتيجة الماتعة هي(محاولة حول فرويد)..وهو في كتابه هذا يتمثل أهمية اكتشافه للبواعث النفسية الباطنية، في تشكيل الأفق المعرفي الوجودي للإنسان.. شخصيا أراهما ريكور وبياجيه يشتغلان في تلك الفترة في منطقة التحليل النفسي ذاتها...وشخصيا أنا منجذب لمعرفياتهما ضمن أفق استجابتي كقارىء منتج... ومازال استغرابي على سخونته وهو يزداد كلما عدت إلى مجلد (جون لشته) (خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، من البنيوية

إلى مابعد الحداثة).. ما الذي غيب هذين المفكرين الكبيرين (ريكو/ بياجه.. من كتاب جون لشته/ ص542؟) المؤلف جون لشته حشر الروائية مرغريت دورا والروائيين كافكا وجويس..وسولير ضمن المفكرين؟!! وتجاهل الحداثيين الكبيرين ريكور وبياجه؟!!

(*)

البنيوية الفرنسية..

يرى ريكور أن البنيوية الفرنسية، ظلت أسيرة لمنطلقات العالم اللغوي (فردينان دو سوسور 1857 ـ 1913)وأن هذه البنيوية بطبعتها الفرنسية، تبدي حذرا نسقيا من كل محاولة للعبور خارج حدود اللغة،..وفي هذا الصدد اللغوي شيّد دي سوسير علم اللغة الحديث وان كان أكثر ما يرد ذكره في تأكيد دراسة علم اللغة / التعاقب والتزامن/ المفهومات/ المقولات ولم يكتسب سوسير شهرته من التأليف، فهو لم يكتب بنفسه إلا كتابا واحدا حين كان في الحادية والعشرين.. اكتسب سوسير شهرته من تأسيسه اللغوي، الذي سيعرف بعد رحيله بـ (علم اللغة العام) والكتاب يضم مجموعة محاضرات جمعها اثنان من طلابه (شارل بالي) (وإلبرت سيكاهي) وأفضل ترجمة عربية لهذا الكتاب، صدرت عام 1983/ بغداد ضمن سلسلة آفاق عربية/ العدد 3/ قام بترجمة الكتاب الدكتور يوئيل يوسف عزيز/ وقام الدكتور الناقد مالك المطلبي بمراجعة النص العربي، والجميل بهذه الطبعة أنها تحتوي على ثلاث مقدمات لا يمكن الاستغناء عنها، مقدمة المترجم، مقدمة تلميذَي سوسور، مقدمة المراجع الناقد المطلبي..

❖ حاشية..

لا يمكن الحديث عن دوسوسير وأهميته اللغوية، دون ذكر جهود عبد القاهر الجرجاني...وأرى أن من أوائل الذين انتبهوا لأهمية عبد القاهر، هو الدكتور الناقد كمال أبوذيب في كتابه النقدي (جدلية الخفاءوالتجلي) قبل ما يقارب، ثلث قرن*.والناقد المطلبي يثمّن دورمؤسس علم اللغة في التراث العربي: الفراهيدي وتلميذه سيبويه وهما يرسيان دعائم نظرية لغوية تعنى بالأشكال دون المعنى..وتبعهما، البصريون وغيرهم..لكن الناقد المطلبي بوعيه الحداثي يرى أن هذه الأحكام مستنبطة من عقل (النحوي) وليست من (اللغة الحية) لذا يؤثل عبد القاهر مشيدات ثورية في منهجية البحث اللغوي العربي..مشيدات تنبع من الدلالة وتصب فيها

لقد (فرق الجرجاني بين مستويين من المعاني:

*المعاني الحقيقية أو المعاني المعجمية

*المعاني المجازية أومعاني العلاقات

اطلق على الفرع ألأول: المعنى

وأطلق على الفرع الثاني: معنى المعنى)

وحسب قول عبد القاهر في دلائل الإعجاز..المعنى:هو المفهوم من ظاهر اللفظ، الذي تصل اليه بغير واسطة أما معنى المعنى، فهو أن تعقل من اللفظ معنى آخر.

في القرن العشرين سيؤكد مايكل ريفاتير على أهمية النشاط السيميائي في الشعر، ولابد من قراءتين للنص الشعري..القراءة الأولى: قراءة استكشافية ويتم من خلالها فهم المعنى، أما القراءة الثانية فهي قراءة

استرجاعية يتم فيها محاصرة المعنى والقبض على تجلياته، وما التجليات بلغة ريفاتير، سوى معنى المعنى بلغة عبد القاهر الجرجاني.وهناك من يدحض كل جهود دوسوسير وعبد القاهر الجرجاني اللغوية، من خلال كتابه (اللغة الموحدة)

حيث يسعى الباحث العراقي عالم سبيط النيلي إلى (تأسيس علم جديد للغة قائم على القصدية وتفنيد النظرية الاعتباطية للجرجاني ودي سوسير)

(*)

من خلال ثلاثيته الرائعة يرى ريكور، أن واقعية ألأحداث الماضية، بقي مثالها هو سرد الخيال الذي استبقى، هوالآخرفي محايثة للغة، وهكذا عمد (رولان بارت)..إلى تأويل (أثر الواقع) على أنه مناورة للخطاب يستقرىء الوصف من خلالها وهما إحاليا/ ص92).

(*)

البنيوية الماركسية

بعد الانتشار المذهل الذي حققتهُ الإلسنية البنيوية، سلك (لوي ألتوسير) الفيلسوف الماركسي، في عصر ازدهارالماركسية، في ستينات وسبعينات القرن الماضي(منحى بنيويا) وعلى ذمة (ريكور) إنشغل ألتوسير:بفصل النواة العلمية في كتابات (ماركس)، عن كل نزعة إنسانية وعملية.. التوسير الذي قرأنا له بالعربية(قراءة رأس المال)(من أجل ماركس) (لينين والفلسفة)، ألتوسير الذي تقاطع مع غرامشي ـ غارودي ـ ماركوزه ـ هابرماس ـ أدرنو. وحده ألتوسير أصرّ أن تكون الماركسية أما علما أو لا تكون، إنها مطالبة هاملتية الشرط!! والذي تصدى لكل

محاولة لأنسنة الماركسية ورأى في ذلك(رمي الماركسية كفلسفة للاقتصاد والتاريخ في أحضان الآيديولوجيات)..هل استوقفت ألتوسير تلك الشكوى الماركسية، في مجلد الآيديولوجية الألمانية ص1500هل استوقفته صرخة ماركس(كم أنت ضيقة أيتها الآيدلوجية؟!)..فخشي ألتوسير على الماركسية من شمولية مقيتة تزعم حلولا شاملة لكافة مشاكل الإنسان؟!.. يرى ألتوسير أن الماركسية ذات ثنائية رصينة:

*علم تفسره المادية التاريخية

*فلسفة محددة بعبارة المادية الديالكتيكية

ويرى ألتوسير أن إبدال الفلسفة بالعلم يعني التورط بالانتهازية اليمينية الاقتصادية إبدال العلم بالفلسفة يعني الوقوع في الانتهازية: الذاتية..

(*)

يبدو أن البهجة الوحيدة في صيف 1935جسدتها:

* نجاح بول ريكور وتفوقه الجامعي

* زواجه من رفيقة صباه...التي لا يذكر اسمها في كتابهِ!!

هذا الأمر يذكرني الآن بإعلان الموتى عندنا والذي ابتكرته الحرب العراقية ـ الآيرانية فنحن قبل هذه النار، لم نكن نعلن عبر لافتات سود عن موتانا، الآن حين تتوفى امرأة..: (انتقلت..أرملة المرحوم)أو (انتقلت أم فلان) لا يذكر اسمها ولا اسم ابنتها إذا لم يكن لها ولد!! بل تنسب (عائديتها)لأحد الذكرين الزوج أو الابن وإذا كانت عانساً فتكون عائديتها للأخ (انتقلت أخت فلان)؟!

(*)

الحرب مرة ثانية

(انتهت الحرب: أحدنا عاهر والثانية لصة)..

هذه الجملة البشعة لم تفارق ذاكرتي، كلما تذكرت رواية ألبرتو موافيا (امرأتان)..قرأتها وأنا على مشارف العشرين وها هي في ذاكرتي ماتزال..!!كيف حزتُ على ذاكرةٍ بلا ممحاة؟! هل هي مكافأة إضافية أسبغتها الحروب التي خاضتني ولم أخضها؟! حروب تشظت في الروح والجسد والذاكرة..على هذه الجملة يختتم فلم امرأتان تمثيل (صوفيا لورين) فيلم بالأبيض والأسود والفلم عبر اللونين أكثر بلاغة واجع وقعا... تقول الجملة الموجعة صوفيا لورين بعد ان تعبت من ضرب ابنتها فاحتضنتها وقالت الجملة الدامعة السخينة...ثم تصغر اللقطة وتصغر وتصغر..إذن هي الحرب، تشوه سلوكنا الإنساني السوي..ثم تحجّمنا..ثم تحذفنا من شاشة الحياة؟!..الفيلم رأيته في سينما الجمهورية/ تقع في شارع الوطني..شارع البارات والفنادق والمطاعم والمحلات، رأيناه شقيقي محمود وأنا، يومها كنت أنا في الخامس الابتدائي ومحمود في الأول المتوسط..والذي يستعيد الفلم لا الطفل الذي كنتُ بل القارئ، المريض بالكتب..الذي صرت إليه..

(*)

في الحرب العالمية الأولى فقد الطفل بول ريكور والده، في الثانية سيفقده أجنحته ونوافذه كلها، وهو يسقط أسيرا في معسكرات الجحيم النازي، حدث ذلك بعد صيف ممتع أمضاه مع زوجته في جامعة (زيورخ) في تعلم اللغة الألمانية، فإذا بهذه اللغة تزجه في زعيقها وتشنجاتها العضلية

(*)

الأسلاك/المعرفة

الفيلسوف الذي في الأسير (بول ريكور)..يحيل الاعتقال حقلاً معرفياً وضمن تجربة قراءة، أعود إلى مقولة (باسكال) بالطبع، أقصد الفيلسوف باسكال وليس المغنية!! يقول باسكال (الاعتقال إنقاذ)..ولم يكمل..ترك لنا شفرة شعرية الغموض، لكن (ريجس دوبريه) وهو يثبت هذه الخبرة الباسكالية في كتابه الأجمل (مذكرات برجوازي صغير بين نارين وأربعة جدران) دوبريه المحكوم ثلاثين عاما بتهمة مرافقته للثائر (جيفارا)، أصغر فيلسوف فرنسي في منتصف ستينات القرن الماضي، وهو مؤلف (ثورة في الثورة)و (دفاعا عن الثورية)ومجموعة من الروايات ودوبريه المتغير من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين..يرى دوبريه:في المعتقل يتحرر الإنسان من قيود كثيرة، وهو يحاول (التكيف)مع هذا الضيق الإلزامي، ومع هذا التكيف يخسر السجين ثوابت فسلجية لا تحصى، دع عنك ما يصيب عصافير شجرته العائلية، من عوق اجتماعي باهظ جدا!!

بول ريكور، يرى الاعتقال(تجربة إنسانية فذة، قوامها حياة يومية كنت اقتسمها مع آلاف الرجال وانعقاد أواصر الصداقة المتينة، ونظام منضبط لتعليم عفوي وقراءة مطردة للكتب المتاحة بالمعتقل) حديث ريكور هنا، حديث طالب في الأقسام الداخلية وليست مكابدات أسير في معتقل نازي؟! كيف كان النازيون يعاملون أسراهم؟ معاناة الأسرى؟ هل المسكوت عنه يشكل اتصالية/ خارج النص بين المؤلف والناشر؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف سيكون مناقشة صيرورة قيمة الحقيقة؟؟

(*)

ثنائية ياسبرس

في الأسر يلتقي..علم أعلام الجمالية المعاصرة: ميخائيل دوفرين ويشتركان في إنتاج قراءة مشتركة لأعمال الفيلسوف الألماني الوجودي (ياسبرس) وستنشر في عام 1947 في كتاب (ياسبرس فلسفة الوجود)، وفي العام التالي ينفرد (ريكور) بإنتاج كتابه (جبرائيل مارسيل وكارل ياسبرس:فلسفة السر فلسفة مقارنة) والطريف بالأمر هنا أن تناول ياسبرس، لا يتم إلا ثنائيا مرة خارج النص وأخرى داخل النص!! بعد اندحار النازية، حاول الابتعاد عن ياسبرس، فاستأنف و(بتمعن كبير) قراءة هيدجر، لكن الأول لم يكن هيدجر..هيدجر كان تاليا..الأول هو (ياسبرس) وحسب ريكور نفسه (لم تفلح هذه القراءة في الحد، من هيمنة ياسبرس علينا/ ص81)..شخصيا أرى أن الفيلسوفين أسهما بفاعلية كبرى بالفلسفة الوجودية على الرغم من فلسفتهما (متطرفة متشائمة تقود الإنسان إلى حافة الهاوية/ ص11) المشترك بين ريكور/ برديائيف أنهما أقرب في وجهات نظرهما ل (ياسبرس) من هيدجر..وكلاهما (برديائيف/ ريكور) يتجاوران فلسفيا مع (جبريل مارسيل): (لقد وجد برديائيف أن الفيلسوف والكاتب المسرحي جبريل مارسيل، يختلف عن غيره من الفلاسفة الفرنسيين، فهو مطلع اطلاعا جيدا على الفكر الألماني ومهتم ب (ياسبرس) الذي كتب عنه فصلا شيقا/ المصدر السابق..)

(*)

جملة نصف مفيدة

كقارىء منتج اقترضُ مِن تأني الفيلسوف ريكور، وأتحاشى تأملات

الحيادي العاطل فيه، حين انتهيتُ من قراءتي الثانية رأيتني أردد منتشيا وأنا أتوهمني ذلك البطل الأسطوري (لا شيء ملكي والأشياء جميعا تدخل في حوزتي)..يالها من ملكية واهمة تورثني إياها الكتب وهي تعتزلني في محاريبها اللانهائية!!

(*)

*الفيلسوف بول ريكو..... يتكلم

*الشر هو الظلم قبل كل شيء وإيذاء الآخرين

*الذاكرات الجريحة، تشكو بؤسها بلا نهاية ضد بؤس الآخرين وضد جهلهم أو احتقارهم.

*إنني أتدخل في مناقشات المؤرخين، كما يتدخل غريب تقريبا

*يمكن إنتاج المعنى عن طريق الاستعارات، ويمكن إنتاج المعنى عن طريق النص

*السردي كنز لا ينفذ، ويتعدى السردي أساليب اللغة التي تميزه فهو كذلك علاقة بالزمن.

*هناك في كل مرة فرادة في البؤس.

*إننا دائما بين اختصار أنفسنا والرغبة في التعبير عن معنى

مكتبة البحث

*بول ريكور/ بعد طول تأمل/ منشورات الإختلاف/ 2007

*بخصوص قصيدة بودلير القطط/ د.جمال شحيد/ في البنيوية التركيبية/ دراسة في منهج لوسيان كولدمان/ ط1/ دار أبن رشد/ 1983

*كمال أبو ذيب/ جدلية الخفاء والتجلي/ دراسات بنيوية في الشعر/ ط1/ دار العلم للملايين/ بيروت/ 1980

*أينو دوزي/ جدلية علم الاجتماع بين الرمز والإشارة/ ت: د.قيس نوري/ مراجعة د.نوري جعفر/ سلسلة المائة كتاب/ ط1/ دار الشؤون الثقافية/ بغداد/ 1988.

*فردينان دوسوسور/ علم اللغة العام/ ت:الدكتور يوئيل يوسف عزيز/ مراجعة النص العربي الدكتور مالك المطلبي/ ط1/ آفاق عربية/ العدد الثالث/ 1985

*عبد القاهر الجرجاني/ دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة

*يرى الدكتور عبدالله صولة في كتابه (الحجاج في القرآن من خلال أهم مظاهره الأسلوبية) أن الجرجاني (سجن نفسه داخل دائرة البحث عن أسرار الجمال والحسن والمزية في معاني النظم القرآني بصرف النظر عن القيم الأخلاقية التي تحملها وبغض النظر عن الأبعاد الحجاجية التي من اجلها استجلبت تلك المعاني/ ص601) فالأحرى حسب صولة أن يكون الاهتمام بالجمال في دراسة النصوص الأدبية، لافي النصوص الدينية/ ص146/ صابر الحباشة/ التداولية والحجاج/ دار صفحات/ 2008

***حول ياسبرس/د.نبيل رشاد سعيد/الفلسفة الوجودية عند برديائيف/ بغداد/دار الشؤون/2006**

***عالم سبيط النيلي/النظام القرآني/مقدمة في المنهج اللفظي/ط1/دار المحجة البيضاء/2006**

من خلال الفيلسوف لفيناس..

في منتصف ثلاثينات القرن الماضي انكتبتْ ثلاث بصمات:

الغثيان رواية سارتر

عصر اللامبالاة رواية موارفيا

التملص بحث الفيلسوف لفيناس: مِن عشرين صفحة فقط

ثلاث مفردات مهملة اشتغلت كثلاثة تواقيع على وجه الثلث الأول من القرن العشرين

الفيلسوف لفيناس: نصيحتهُ المعرفية الأولى لنا هي: ادخلوا الفلسفةَ مِن بابِ قبل الفلسفة ويشخصنه ليفناس بالتقاط وهج الفلسفة من المسرودات الروائية وحصريا..الروايات الروسية وحسب قوله (الفلسفة لا تختصر بتأمل المفاهيم المجردة...الفلسفة هي انفعالات ومشاعر حسية وحياة وزمن) ولا يتوقف منتوج لفيناس مِن أسئلته المقلقة:

*كيفية المرور من الموقف القبفلسفي العفوي الى الموقف الفلسفي؟

*كيف نتخطى التجربة لبلوغ نقطة نظر الحقيقة والكلي؟

*كيف يصير هذا العقدي بالولادة واعيا لسذاجته؟

ويكرر لفيناس في كتاباته أن الفلسفة حتى نفهمها تحتاج اللافلسفة!!

وهو في هذه النقطة يتقاطع مع مفهوم هيدجر الذي يجعل الفلسفة منشغلة بالوجود وهي تفعّل إتصالا مفهوميا بين الوجود الضمني والوجود الواسع.. في حين فلسفة لفيناس تكسر هذا النسق وتجعل من خلال فهمنا للموجود الإنساني يكون تمكيننا في فهم الوجود(إن دراسة الإنسان ستكشف لنا الأفق الذي داخله تطرح مشكلة الموجود لأن فيه يتم فهم الوجود/ 25).. لفيناس..هل اكتشف المغيّب الفلسفي في سردانيات الرواية الروسية وجعل منه مدخلا حقيقيا للفلسفة، بعد أن صيّر الأدبي ما قبفلسفي ونظر إلى اتصالية التغّيب/ العودة من خلال فكرنة العصر بذاته، عبر التقويل الأدبي: (إن الفكر الإشكالي الذي يتخلل النصوص الأدبية يشبه الوعي الفلسفي لعصر تاريخي، هذا العصر يفكر في ذاته فيعود إلى الأدب ليقوله/ 24)

(*)

لم يكن صوت لفيناس دون صدى فلسفي.. صحيح أن هذا الصدى تأخر ثلث القرن لكنه حين دوّى أخذ بثأر الفيلسوف لفيناس من خلال فيلسوفين لهما ثقلهما في فرنسا أعني (جيل دولوز) و(فيلكس غاتاري) اللذين اشتهرا في كتابهما (ضد أوديب) المنتوج بعد حركة آيار 1968بأربع سنوات..يشتغل الكتاب على زحزحة مفهوم اللاشعور الفرويدي وتفعيل انزياحات مفهومية فيه..وإذا كان فرويد هو أول من اكتشف(الرغبة) وأسماها (اللبيدو)..لكنه عمل على تغريب الرغبة حين جعلها أسيرة مثلث

الأب/ الأم/ الابن..من هنا عمد (دولوز)و(غاتاري) إلى إطلاق الرغبة من قمقمها وتحويلها من ملكية خاصة بالأسرة الى (وتد اجتماعي) ضمن فضاء اجتماعي لإنتاج الهذيانات والأوهام/ 308/ دلوز (سياسات الرغبة)هذا التحول يؤدي إلى إنتاج إتصالية تضاد مع التحليل النفسي

عبر التحليل الفصامي/ 310/ المصدر السابق.. أما صدى لفيناس فتجسد في كتابهما (ما هي الفلسفة؟)..حيث يرّكزان وظيفة الفلسفة في..إنتاج مفهمة جديدة حيث يؤكد دلوز في (ماهي الفلسفة) نحن لا نقرأ (ثقافة الفلسفة) بل سنكون وجها لوجه مع مصير قراءة لا تنفك عن تغيير عناوينها ومفرداتها ـ حسب مطاع صفدي/ 14..وحين نبحر في تموجات الكتاب ندرك كيف تتبنى الكتابة رهانات الانسراع في استحداث منظومة مفاتيح لتعمير الحادثة الفلسفية ذات الطبيعة التقنية التي تشيد عليها بنيةالمفهوم.. حين تنتهي نزهتنا مع دولوز..سيكون دولوز في أفق تلقينا من خلال تجهيزه لذاكرتنا المعرفية بمنظومة عذراء من المفهومات:

*الشخصية المفهومية

*أرضية المفهمة

*مسطح المحايثة

*الجيو فلسفي

وهنا نتساءل على غرار فلسفته هو: هل تمّرن دولوز نصف قرن ليترك لنا (كتابة الهندسة بجبر المطلق)؟..وهل كتابة دولوز تغرف من هندسة لفيناس..أم تكتب هندسته بجبر المطلق..وهل كتابات لفيناس ترسيمات وخطاطات وخرائط ذهنية للهندسة وأن حروف كلمات دولوزأعداد وحروف معادلات الجبر؟..لماذا إذن لا يتطرقون إلى اتصالية دولوز/ لفيناس..كما يتطرقون إلى اتصاليات دولوز الفلسفية بفلسفة هيغل أو بفلسفة هيدجر؟/ 315/ سياسات الرغبة.

(*)

ربما.. نستطيع الحصول على مقتربات اتصالية بين دولوز ولفيناس.. في جوانب أُخر..يؤكد لفيناس (كل شيء يبدأ إذن مع الرواية الروسية/ 19) والبداية المقصودة هنا هي بداية الوعي الفلسفي لدى لفيناس..في هذا الصدد يقول دولوز (كنتُ أفضل الكُتّاب الذين كان يبدو كأنهم ينتمون الى تاريخ الفلسفة لكنهم ينفلتون من أحد جوانبه، ومن ثم يخرجون منه كلية أمثال سبينوزا وهيوم ونيتشة وبرغسون/ 316)..في اشتغاله على الذاكرة، يركز على التفريع الثنائي الجذري..فهو يتناول الذاكرة وضديها

(المنسي)..وهذا التفريع يتموضع ضمن بصمة ليفناس الفلسفية:

*الذاكرة ـــ المنسي

*المثولية ـــ التعالي

*الموجود ـــ الكائن

*الماهية ـــ ما وراء الماهية

*الموجود ـــ الوجود

*الاستكفاء ـــ الغيرية

*التجربة ـــ الاختبار

*الكلي ـــ اللامتناهي

(*)

التملص: بحث بسعة عشرين صفحة كتبه ليفناس في 1935..يشتغل هذا البحث على ثلاثة محاور:

*القلق

*الخجل

*اللذة

والتملص: معنى مكاني/ بوابة علم ذات/ موجود في توق للنفاذ من الذات/ التملص حاجة إنسانوية محسوسة، يوفر لنا الفيلسوف ثلاثة مفكات هي:

* التخارج

* الرغبة

* الغير

لتفكيك: (التملص) نقول: هو بمثابة فتحة مضادة للكليانية..حيث سيكون الوعي انفصالا عن الذات ومسؤولية الذات عن ذاتٍ معروضةٍ في عريها، خجولة من هذاالحضور المسكر، هنا سيكون حضور الذات إلى الذات، هو الانفصال المخجل وهو في الوقت نفسه:محرك التملص..

قبل فترة وجيزة من إنتاج هذا البحث الفلسفي..يتعمق لفيناس في أطروحات لويس لافيل الفلسفية في كتابه (الحضور الكلي) فيتأكد له لا الفلسفة المثالية ولا الوجودية هي مثابته الفلسفية..فالمثالية تعطي الأولوية للوعي على الوجود والفلسفة الألمانية تؤطر الإنسان في موجودٍ متناهٍ..

في حين فلسفة(الحضور الكلي) (تقترح إدراكا جديدا للعلاقات بين الإنسان والموجود)..وهكذا تقدم هذه الفلسفة علما للوجود يقترح حلا لتناقضات مثالية تتناسى وجود موجود.. وكما تقترح حلا لوجود تدرك

الإنسان كموجود متناه محدود إطلاقا، أي معزول، متروك لذاته، لكن عاجز عن الخروج من عزلته...سيكون لفيناس مشدودا لأطروحات لويس لافيل وسيكون الانشداد متمحورا حول: أن الحاضر بطريقة كلية ومطلقة هو الموجود لنفسه وليس الأشياء..قبل هذه الموجودية لا يوجد في: حضور مغفل أو في حدث وجود بسيط..بل يكون الموجود على العكس على اتصالية مع الأنا..وهكذا تتوصل القراءة المنتجة لفيناس أن المهيمنة الفلسفية لدى لويس لافيل هي تجربة الحضور الكلي لموجود واع باشتراكه معه يتكون كشخص وكحرية.. وهكذا يكون اكتشاف الوجود الكلي للأنا ليس عبر الافتتان بل من خلال تمرينات فعل الوعي نفسه..الأنا يتكشف لها الوجود الكلي في تجويف الحياة الجوانية..بعدها يستعين لفيناس بنسق ثلاثي يتكون من: الأنا/ الشخص/ الوعي..بخصوص التصور المثالي للذاتية..موضحا أن الصلة المباشرة بين الموجود واتحادهما تنفي كون الأنا سابقة على الموجود الذي ستلتحق به بعدئذ بنوع من التمدد..وهنا سيلتقط لفيناس الطريقة الجديدة التي يشتغل فيها كوجيتو ديكارت (أنا أفكّر إذن أنا موجود) في أطروحات (الحضور الكلي) للويس لافيل...هنا تحاول قراءتي الشخصية أن تلم باشتراط النص عليّ مادمت قررتُ التوغل في معماره، معتبرا النص هو آخر يوصلني إلى ذاتي..يقودني لفيناس إلى تنقيح ريكو للكوجيتو الديكارتي.. وذلك حسب قراءتي التي بدأت بالفيلسوف ريكور منذ سنوات ولم اكتشف لفيناس إلا..في نوروز 2012 وها أنا الآن أحاول نسج شبكة تحاورية بين ريكو ولفيناس..ريكو..ينسج سردا يستهدف تكرار إنتاج مغاير لأشكلة الهوية الشخصية ومواد إنتاج ريكورلا دخل لها بمباهلات الكوجيتو الديكارتي.. وهذه قائمة مواد ريكو في الإنتاج الهووي للشخصنة..

*أفعال: النفي/ الإرادة/ التخيل/ الإحساس باللاتاريخية/ الشك/ الإدراك/ الإثبات/ عدم الإرادة وهكذا ينتج لنا ريكور كوجيتو (الهو ـ هو) خلافا لكوجيتو ديكارت الأنوي الواثق من ثباته والذي رهن موجوديته بتفكره معطيا الأولية للفكر على الوجود؟! ينتج ريكور هوية لاتاريخية الأنا..ينتج كوجيتو لحظوي، لا يواجه بل يفر من بدائل الديمومة والتغيّر في الزمن/ 36/ حاتم الورفلي..عبرهذه الهوية سنسلك عروجا لمفهمة الذات..حيث سيضيء لنا التمييز ثلاثة مكونات للهوية: هوية مثل/ الهوية الأنية/ الهوية السردية..وسيكون كوجيتو ريكور هو (أنا ما أحكي)..أو (أنا ما أسرد عن نفسي)..نلاحظ أن ريكور..لم يجعل الأنا رهينة اشتراطات برانية..بل اقترب من الأنا من خلال قولها عنها..بالنسبة للفيلسوف لفيناس يرى الأمر كالآتي مع الكوجيتو الديكارتي..(إن معنى الموقف الشاذ الحقيقي الذي أوحاه الكوجيتو الديكارتي لا يكمن في أولية الوعي بالنسبة للموجود ولا في استحالة الوعي في موقف الموجود وإنما في اشراك مع موجود كلي مدرك لفعل صرف، اشتراك ليس كلمة فقط، لأن معناه محدد بدقة بفعل الوعي نفسه/ 46)..وهذه الرؤية يقترضها لفيناس من كتاب (الحضور الكلي) للفيلسوف لويس لافل..وهكذا تكون في الكوجيتو الديكارتي الأنا ناقصة، وسبب النقصان هو أن الموجود ليس أمام الوعي بل خلفه وبالطريقة هذه يكون حضور الموجود بالنسبة للأنا: رهان النمو اللامتناهي...شخصيا كقارىء منتج حين أتوقف عند الكوجيتو الديكارتي (أنا أفكّر..إذن أنا موجود) يحيلني الكوجيتو إلى كتابين من كتب إمام الفلسفة الجوانية في الوطن العربي أعني بذلك المفكر عثمان أمين وتحديدا في كتاب (ديكارت) وكذلك كتاب (رواد

المثالية في الفلسفة العربية) فقد افتتح ديكارت كتابه (مبادىء الفلسفة) بضرورة الشك..أي أن يضع الإنسان كل الموجودات حتى الصحيحة في موضع الشك، واعتبر أن الشك، سيقوم بتخليص العقل البشري من ثوابته اليقينية، وصولا إلى يقين مستحدث يقيم عليه مذهبه الفلسفي.. وحسب قوله في (تأملات في الفلسفة الأولى) يعلن (يحق لي أن أعلق أكبر الآمال أن أسعدني الحظ فوجدت شيئا يقينيا لا شك فيه)..وشك ديكارت ليس سببا، بل نتيجة لخديعة الحواس وزلل العقل، كما يزعم.. ولأن كل الموجودات عرضة للشك..باستثناء موجوديتنا في الوجود.. إذن لننطلق من هذا الذي يفكر في موجوديته إذ يستحيل الطعن في هذا الموجود..إذن ليكون انطلاقي من (أنا أفكر إذن أنا موجود)..أرى أنني حين أكشطُ فعلَ (أفكّر) سأحصل على فعل آخر هو (أشك)..وفرق بين التفكيروالشك..فالثاني لا يستقر على حال بسبب رفضه لليقينات كلها.. وحين يكون العقل منشغلا بشكوكياته سيكون خارج التفكير الحر..وهنا اتوقف متسائلا اذا كان كل وعي هو ذاكرة فالإدراك والشك الديكارتي هنا إدراك يفترض أن الذاكرة قد حددت وتحديدا بوصفات المتذكر، ولكن من الخارج بواسطة اللاوجود../ 114ميرلوبونتي..

(*)

في كتابه (تأملات ديكارتية أو المدخل الى الفينومينولوجيا) يضيف الفيلسوف أدموند هوسرل قراءة مغايرة للكوجيتو الديكارتي..متسائلا في البدء..(إننا حينما ننحّي العلوم لا نتقبل قيمة لأي منها، فإنه لن يعود هناك شيء يمكن أن يقدم لنا مثالا عن العلم الحقيقي/ 53) ثم يدرج التساؤل الثاني (ألا نستطيع حينئذ، أن نرتاب بهذه الفكرة ذاتها، أي بفكرة علم قائم

على أساس مطلق؟) يليه السؤال الثالث..(وهل تدل هذه الفكرة على فكرة غائية مشروعة، هي غاية ممكنة مقترحة على نظام من الانظمة العملية الممكنة؟)..أسئلة فيلسوف الرياضيات العليا أدموند هوسرل:لا تنظر إجابة من صرامة الفلسفة ومنطقها اللا أرسطي واللا هيغلي..ومثلما يستعمل الفيلسوف لفيناس الماقبل فلسفي مهادا للفلسفة..فقد سبقه، ديكارت جاعلا من الهندسة مثالا أعلى علميا وتحديدا الفيزياء الرياضية التي يعبر عن قوانينها بمعادلات رياضية وقد تبناه ديكارت دون نقد سابق، مما جعل تأملات ديكارت تعاني آثاره المشؤومة، التي وشمت قرونا خلت..وهنا أخذت البداهة الديكارتية، المسماة كوجيتو، دورا شبيها بالدور الذي تقوم به البديهيات الهندسية في الهندسة ـ حسب هوسرل/ 54..الآن ونحن في الألفية الثالثة وضمن البحوث العاملة في حقل الأجساد الثقافية الداعية إلى التقريب بين التخصصات المتباينة كالإبستمولوجيا والأثنوغرافيا من أجل تجاوز الثنائيات التي مأسستها الفلسفة الديكارتية، فقد كان لهذه الثنائيات القوة الكبرى في تهميش الجسد:الإنساني: عقل/ جسد....رجل/ امرأة.....طبيعة/ ثقافة..وفي السياق نفسه ظهرت خطوات جادة في تجاوز العقل الديكارتي منها..ما جرى في بريطانيا وتحديدا في (برمنكهام) عام 1964 في إنشاء(مركز الدراسات الثقافية) بالمعنى الذي قصده ريتشارد هوغارت، حيث جرى في زمن التخصص، تكريس التكامل الاكاديمي الذي يشمل: علوم الاتصال والنظم الاجتماعي والاقتصاد السياسي والإعلام والانثروبولوجيا ودراسات الفديو/ السينما/ الفلسفة... وهكذا سعى هذا المركز الثقافي إلى مأسسة العمود الفقري للأثنوغرافيا التي سعت إلى كسر النسق الديكارتي...

كناية الديالكتيك..

(كن تائها

لتكن دليلك)

شمس النارنج

ـ 1 ـ

هل....

الهوية الروحية للفلسفة الأوربية تجاوزت مصدات الجغرافية.....

كما يرى واضع أسس الظاهراتية الفيلسوف الألماني(أدموند هوسرل)*.؟! أليست رؤية هوسرل، هي ثمرة التعالي الظاهراتي الذي يجذب الأنا من طبيعيتها ويقذفها في حضرة الوجود المطلق، مفارقا بين الأنا النفسية المندمجة في العالم وبين الأنا المتعالية وهي أنا محض/ نتاج التعالي الظاهراتي...؟ أم هي أوهام العقل المركزي *؟ المنبثة من ميتافزيقيا عقل هيغل.. الذي رأى مثال المطلق في الدولة البروسية؟.!(كل ما الإنسان كائن عليه إنما يدين به للدولة: ففيها تكمن كينونته وكل قيمته، وكل واقعه الروحي لا يستمدهما إلا من الدولة/ هيغل).. هذه الدولة التي(لم تر من واجبها أن تعظم الفيلسوف،!! بل العكس عملت الحكومة الملكية بكل ما أوتيت من قدرة، بعد موت الرجل للتخلص من تأثيره...

وأبعدت كل أنصار هيغل عن المنابر وكراسي التدريس../ ص13/ هيغل والدولة)..

(*)

التصور الهيغلي لفلسفة التاريخ، ما هو إلا.. تجليات العقل المطلق وعبر هذه التجليات تتصل الفلسفة بنفسها في وحدة الفكر..وهنا ينهض التساؤل:

هل العقل الهيغلي: حكمة تحقق غاياتها (في العالم)؟

أم هي عناية تالية بالحكمة ذاتها؟

أم أن الفكر يلوذ بسيرورة التاريخ، كسند نظري لإثبات قضايا بعينها؟

هل التاريخ قنطرة..، يتم الإنتقال عبرها...

من الموجود بذاته ـ ـ ـ ـ إلى الموجود لذاته..؟.....

ضمن العقل الهيغلي: الجوهر ينتج مراياه..أعني العقل المحض يبدع: (التاريخ الظاهراتي)..هكذا يعيدنا هيغل إلى أن قيامة فلسفة التاريخ منبثة من الجوهر الخفي، ومنه تتشقق الحتمية البسيطة: على وفق (مبدأ الجوهر الذاتي): التحتيم/ التحديد:

*التحتيم: ما من شيء يستطيع أن يقفز متجاوزا زمانه

*التحديد: الحد الفيزياوي/ الطوبوغرافي/ العرضي

بين قوسيّ التحتيم/ التحديد..يتم (تعليق) الفكرة ظاهراتيا، من خلال عزلها عن النمو الديالكتيكي، عبر قانون الكم/ الكيف: كل تراكم يؤدي الى متغير نوعي..

(*)

بلورت الفلسفة المثالية الموضوعية، نسقها النظري، حين بأرت الوجود، عبر العقل المحض..عقل يمتلك مطلق الفاعلية في ذاته، ومنه تنبجس تلقائيا، كينونة الموجودات، دون أن يتعلق، هذا العقل بها، محافظا على كماله، لعدم حاجته الى آخر يكتمل به، نحن هنا أمام عقل محض متعال، لا ينتج، بل يبدع بفاعلية ذاتية، نابعة من تأمله المجرد، وعلى الطرف الأدنى يتلوى العجز الذاتي في عالم المادة لسيادة الانفعال والقصور

(*)

هيغل بوعيه الفلسفي العميق..كان يدرك أنه آخر السلالة في منظومة فلسفية اكتملت دائرتها، لذا بعد أفوله انشطرت تفاحة الفلسفة شطرين.. شطر..ذاتي/ فردي/ جواني.. سيعرف بعد ذلك بالفلسفة الوجودية

أما الشطر الثاني فهي الماركسية بموضوعيتها وجماعيتها وإنفتاحاتها على الخارج..

ألا..من..اتصالية تفعل آصرة بين الشطرين؟

هل يوجد براني محض بِلا جواني؟

أليس الفرد..له جذور مشتركة في تربة الجماعة؟ وهنا يحضر الرتق الهيغلي الرائع: (إنك كلما أكدت الفرد المنعزل المستقل، فإنك بنفس الفعل وفي نفس اللحظة تؤكد الإنسان الاجتماعي الذي لا يعرف ولا يفهم إلا وسط جماعة ومن خلالها/ ص6/ هيغل/ جدل الإنسان)..

هل نحن هنا أمام جماليات مبدأ التشارط المتبادل..؟؟

(*)

ثم يكرر نيتشة صياغة هذه المركزية وهيدجر..يستأنفها، وهو يتأمل الوجود من خلال نافذة اللغة، فيرى:عبر اتصالية الخفاء والتجلي، الوجود حاضرا في الكلمات ومتخفيا وسطها ويتم ذلك عبر كشوفات وتخفيات متزامنة...

المركزية الفلسفية، ستكون واضحة، وملموسة، ضمن البنية الاقتصادية، للهامش الذي يشمل آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية..؟! يا له من هامش جغرافي مستطيل!! والذي أطلق عليه (العالم الثالث) وهذا المفهوم، تم تصنيعه وتسويقه وتداوله، رغم رفضه من قبل اليسار واليمين العالمي؟! والعالم الثالث، حسب توصيف الفيلسوف، ريجيس دوبريه (اصطلاح شبيه بغرفة مملؤة بأشياء مبعثرة، بكيس لا شكل له نخلط داخله أشياء بغير إنتظام لنسرع اختفاءها: أمما، طبقات، عناصر، حضارات، وقارات، كأننا نخاف أن نسميها كلا بأسمها، ونميز واحدة عن الأخرى: (إنها النسخة غير الأغريقية..في كلمة واحدة، كل مَن لم يتكلم لغة بيركليس) ولكن ماذا يجمع بين العربية السعودية وجمهورية فيتنام الشعبية..بين كوبا والبرازيل؟/ ص90)

(*)

شخصيا أرى أن قارات الجوع والثورات..آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية..تتبنين ضمن التركيب الطبقي للبلدان النامية..وهذه البلدان بسبب صعود العسكر تجنح في مصالحها نحو العالم الرأسمالي، وتغازل المعسكر الاشتراكي..من باب تعزيز غوايتها على العالم الرأسمالي في كل الأحوال..رفض اليمين الرأسمالي كان واضحا جدا..عام 1981 أعلن اليكساندر هيغ وزير خارجية الولايات المتحدة: (العالم الثالث: خرافة)..

على القارئ أتمنى التوقف عند (النسخة غير الأغريقية..كل من لم يتكلم لغة بيركليس) لتفعيل قراءة اتصالية التضاد بين مفهوم هوسرل المتعالي، ومفهوم ريجيس دوبريه الإنساني، الداحض لمفهوم هوسرل

(*)

إذا كانت الفلسفة..قد. صاغت العالم.. سؤالا يبحث عن إجابة؟! فإن جهودها العظمى اكتفت بتفسير العالم وتكرار إنتاجية التفسير، باسهاب. ممل أحيانا.* اندفع الإنسان يستجوب العالم، ليس من أجل إرضاء هذه الحاجة العملية أو سواها، بل بدافع آخر!!...هل كان الإنسان يطبق ما لديه من مبادىء على كلية العالم المنبثة من رؤية أبستمولوجية تنقش كلية الثقافات في سرود واقعية ملموسة..؟ وكم سيكون نسبة ضياع المعنى بذريعة حريات التأويل؟ من المتسبب بهذا الضياع:

*الدال.... وهو يتخطى المدلول، نحو العقل؟ أليست المدلولات تترسب في تصرفات التعبير..حسب (موريس ميرلو بونتي)؟

* إشكالية الاتصال بين العقلاني والوظيفة الرمزية للأسطوري؟

*شفرة الإحالة وهي توهمنا بتشارك نصي؟

*هل ضمان المعنى مسطور بكامله في خطاب النص نفسه؟

*استحواذات التأويل لمصادر الجوهر المعرفي؟

إن كل تجربة هي تجربة للمعنى، فكل ما يتبدى للوعي وكل ما يوجد بالنسبة للوعي له دخل بالمعنى فالمعنى هو ظاهرية الظاهرة...حسب جاك ديريدا...وحين يحدد هوسرل:أن جذورها يعني المركزية..بدأت

مع عصر غاليلو وديكارت..ألا يحق للقارىء الواعي من وجهة نظر (آلتوسير) أن يقوم بالكشف عن الأبنية اللاواعية الخفية عن طريق تفسير التحولات والتناقضات والأغلاط مما يمكنه في إنتاج نص مختلف عبر ملء الثغرات بوعيه ومن وعيه بالقوى ضمن البنية الاجتماعية بتراتبياتها الثلاث (الراتوب الاجتماعي/ ..الاقتصادي/ ..السياسي) من هنا نرى أن المركزية..قبل ذلك بقرون...وتحديدا عند اللحظة المعرفية الإغريقية، حيث تزامن اتصال المعرفي الكونيالي..وتقريبا حين استعان الإسكندر المقدوني بجوهر السيف لا بمنطق صديق طفولته أرسطو في تفكيك شفرة عقدة كورديوم..

(كاذبة كتب التاريخ

ما كان الإسكندر تلميذا لأرسطو

ما كان سوى جلاد

يغزو من أجل الغزو/ عبدالوهاب البياتي)

وبدون استهانة بدور الفرد في سيرورة التاريخ..علينا أن نعي (ليس للفكر حرية ذاتية في التحرك والتطور، كما أن نشاطه في إنتاج المعرفة ليس من فعل فرد كإرادة ذاتية مطلقة/ مهدي عامل)..إذن حين تمرحلت بنية الوعي الفكري: مِن الشعر إلى الفلسفة وبالتالي إنتزعتها البنية السياسية بتسيدها كمهيمنة موجهة للمجتمع، أكرر البنية انتزعتها وليست قوة الفرد.. أعني ليس الإسكندر المقدوني* الدكتور طه حسين* وهذا يعني أن علاقة الفكر بالواقع ليست إذن علاقة ذاتية فردية أي علاقة بين وعي فردي وواقع موضوعي، ولا يمكن حصرها في هذه العلاقة النفسية.: حسب

مهدي عامل وبقيت إستراتيجيات التواصل الإشهاري: محافظة على هذه الصورة من تبعية المثقف للسياسي لحد الآن بنسبة تقلق المعرفة وتبتزها.. إلى حد تفعلت اتصالية قسرية وهي اتصالية القوة/ المعرفة والتي غدت أنجع طريقة علمية للهيمنة....ولا يكتفي السياسي، بذلك أعني لا يكتفي باحتكاره للسلطة والمعرفة، وصهرهما في بوتقة واحدة، بل يسعى إلى تشظية سلطته وتنويع مجساته؟!.. هنا يشع سؤال جاك لاكان عن اغتراب الذات في الآخر..: (أنه يقول لي ذلك؟ ولكن ما الذي يريده؟) وبدوري كقارىء أتساءل: هل يعقل أن الضحك من تصنيع المشهد التالي:

الإنسان يفكر والحقيقة تهرب منه!! وإذا حاولنا تفكيك الضحك، بمفكات هنري برغسون وتحديدا من خلال كتابه (الضحك) فأني سأعود الى اختزال الكتاب، بحجر كريم لمأثور عربي: (شر البلية ما يضحك)

(*)

رغبة المعرفة: بقوة حصانية بالغة الجودة: كانت تقاس، ثم صيرتها التقنية بسرعة الضوء..المعرفة تنز دما أمميا..وسيكون نابليون طبعة أكثر رداءة من الإسكندر. (الحروب النابليونية لم تكن إلا امتدادا للثورة الفرنسية.. فقد سهلت أفكار الثورة الفرنسية المتمثلة بالأخوة الإنسانية والمساواة والتحرر من سلطة الملوك المطلقة تجميع الرجال بأعداد هائلة لتأسيس جيوش نابليون..وفي تجنيد الرجال في جميع بلدان العالم...)*هكذا دائما ينتهز العسكري الفرصة لتزييف أنظمة الوعي الاجتماعي..شخصيا صرتُ أرى في مفردة عسكري، الأسم الثاني للساحر/ المشعوذ/ الجلاد ونترك لاستجابة القارىء إلتقاط النسخ الرديئة المعاصرة منذ الإمبريالية كأعلى مراحل الرأسمالية..إلى ما بعد العولمة..متأملين في كيفية تصنيع

الاستبداد وتصديره ومن ثم حذفه من قبل نفس معامل الإنتاج التي صنعته ووجهته..بعد أن رأت إدارات الإنتاج أنه..في عداد ال EXPire وأنها أنتجت البضاعة/ الطاغية ـ البديل..

(*)

هل الاستبداد ذكوري..؟

وهل لهذه المركزية اتصالية بذكورية الاستبداد؟

إن الذاكرة الثقافية وهي تضخ محمولها في كافة أنظمة الوعي؟ وعن طريق آلياتها تسهم في توجيه مكوناتنا الثقافية وتحديد سيرورة التذكر. وهكذا تتسيد ثقافة تفحيل الأنساق؟ إلى ما بعد الآن..فتوى..أشهرها الشاعر الفرزدق (إذا صاحت الدجاجة صياح الديكٍ فاذبحوها)..

يا لنرجسية/ الذكورة الموهومة..التى لا تريد أن تسمع سوى صياحها!! كأن التأنيث محض مضاف وهناك صلافة أخرى تفحيلية أخرى: (ذكورة التاريخ والذاكرة)؟! وهناك إتصالية جينات إستبدادية تجمعنا كلنا في نظام كمفورميا واحد..لماذا معلم الابتدائية ونحن صغار يحفظنا نشيدا عنه:

(أستاذ..... يا عيوني

لابس قاطه الزيتوني

لمن يتمشى بالصف

هو الأب الحنوني)؟؟

وهكذا يغرز المعلم أبوته البديلة في عذرية أرواحنا الطرية..؟ّ! أليس في ذلك عملية واعية لأثينية أبوية؟ أب حقيقي..ينجب ويربي ومعلّم يعلم ويغرز في الطفل أبوة ثانية؟ لماذا تنويمات أمهاتنا اشبه بالمناحات

(دللول..يا الولد يا بني/ دللول/ عدوك عليل وساكن الجول..)*..من أي خيمة؟ من اي بادية محتقنة بالقتول تسللت هذه المناحات التي تسمى مجازا بالتنويمات..إلى الوعي المديني..في مدن العراق ذات المنسوب الحضاري العالي..كأن الأم هنا تبث وعيا تحذيريا في ذاكرة عذراء، هنا أتساءل بدوري..هل فاعلية الهدم والعنف من تركات ميراثنا الحيواني من غريزة العواء؟ أم هي من عوامل إنسانية بمواجهات فسيولوجية؟

(*)

في البدء كان الصراع بين الإنسان والطبيعة واكتشف الإنسان بحسه الفطري واحتياجاته الإنسانية اتصالية التناغم والانسجام بينه وبين الطبيعة.

وحين انتقل الصراع بين الإنسان والحيوان..كان صراعا وقائيا يضطر اليه الإنسان..في حقبة يصفها (تشارلز داروين) بتاريخ (التكنولوجيا ـ الطبيعية)، حيث تفعل النمو الديالكتيكي في أعضاء الإنسان والحيوان وتضاريس الطبيعة...ثم واجهت المجموعات البشرية مشكلات تطرحها الحياة على من (لا يعرفون من الحياة سوى الحياة كما تقدمها الحياة)*، كانت هذه المجاميع البشرية دون دراية منها تفعّل قانون وحدة وصراع الأضداد، الذي يسهم في تدوير عجلة التاريخ البشري...

في (ثرثرة فوق النيل) وهو يدس لسانه في أفواه شخوصه..يقول نجيب محفوظ:

*(..لم يكن عجيبا أن يعبد المصريون فرعون ولكن العجب أن فرعون آمن حقا بأنه إله/ 24ص)

*(الثورات يديرها الدهاة وينفذها الشجعان ثم يكسبها الجبناء/ 26ص)

*(وأخشى ما أخشاه أن يضيق بنا الله/ ص29)

*(لأننا نخاف البوليس والجيش والانجليز والأمريكان والظاهر والباطن فقد انتهى الأمر إلى أن لا نخاف شيئا.../ ص37)

*(إن أشنع تهمة في عصرنا هي الرجعية/ ص39)

*(كل قلم يكتب عن الاشتراكية على حين تحلم أكثرية الكاتبين بالاقتناء والإثراء وليالي الأنس في المعمورة/ ص56)

*(لا أريد أن أسقط كالتمثيليات الهادفة/ ص59)

*(قبلة..يجب أن يتحسن بعدها الموقف الدولي/ ص39)

سخرية نجيب محفوظ المشفرة لم تخف على الرجل الثاني/ المشير عبد الحكيم عامر وهو يقرأ الرواية، حيث يتصل بالرئيس عبد الناصر من أجل أن (يؤدب هذا..النجيب محفوظ)؟! يا لوقاحة المشير.. الذي سوف ينتحر ليستر عريه اللاوطني القبيح؟؟ يالوقاحته العسكرية/ المشير وهو يضيف ألف ولام التعريف على اسم الهرم(نجيب محفوظ).!!. هل تعرف المشير على نفسه في شخوص رواية ثرثرة فوق النيل؟ هل تعرف على نموذج يشبه عشيقته (برلنتي عبد الحميد)؟ حقا.. اي غسول قوي للأدمغة تصنعه القوة الطاغية ضد الشعوب..ويجري مفعوله، حتى على الإدارة المنتجة!!

(*)

الطبيعة الواحدية البعد: لمسها الإسكندر بعينيه في الهواء الطلق..حين بكى هزيمته أمامها وهو المنتصر.الطبيعة كانت أكثر هدوءاً من (التاو)

جالسة كزهرة لوتس، لذا لم تكترث، ولم تكن مهمومة بسواها، كأنها ذلك الساحل الذي تقصده القوافل طلبا للملح والتوابل والأزهار...في قصيدة للشاعر سان جان بيرس.*الطبيعة هادئة لكن سكون جسد المقدوني، يحرك الأحياء تجاهه (حركنا الملك بسكونه) كما جاء في كتاب ابن رشيق القيرواني..

(*)

هذا البعد الواحد، سيكون فايروساً موّجهاً للعلوم الأوربية (التي اختزلت العالم إلى مجرد موضوع تقني ورياضي، ووضعت عالم الحياة الحقيقي خارج أفقها) وحين نهضت العلوم الإنسانية، واندفعت رغبات الإنسان المعرفية في كل منحى..أصيب بازدواج قيمي في الروح ولم ينتبه له إلا.....والعلوم تأخذه في سرعتها القصوى، بعيدا عن وضوح رؤيته للعالم. وهذه السرعة وهي في خطواتها الأولى، جان جاك روسو، فكك شفرتها: (خطوات تبدو في اتجاه اكتمال الإنسان الفرد، لكنها في الواقع في إتجاه انحلال الجنس البشري) شيّق روسو هنا وضروري فهو أول مَن أوضح بحدة كافية الطابع التناقضي للمدنية ـ حسب الفيلسوف جورجي بليخانوف* سرعة لا تخلو من طيش تقني تصيب الإنسان ب(نسيان الكينونة) داء العصر، حسب تلميذ هوسرل: الفيلسوف هيدجر، على ذكر هوسرل، هل الانتقال من هوسرل..هو محض انتقال من حقل الفكر النقي إلى فلسفة تتأمل ما تشعر بأنه حي..؟ يرى (تيري ايغلتون) أن التكنولوجيا هي التي مسخت سيد الطبيعة، قردا يتلمظ بآيروسيته المقبوحة في نوافذ الماسنجر؟..ويباهل بثيلاسيما ثقافته مستعرضا خبرة عضلاته التقنية..؟؟ في الفيسبوك!! ومع تركيم شفرات الخبرات التقنية، طوقت رأس الإنسان

هالة ليزرية.....بقوتها الدافعة للأمام حصرياً، وهنا انعدمت الجهات بين الأمام والقعر.. ضمن مخططات الصورة فصعد وصعد الإنسان/ المفرغ، هو يدعنا دعا..إلى أسفل سافلين!! وصل الإنسان الى مجاهيل قصية والسؤال الحق: الإنسان: متى يصل إليه؟! أعني إلى إنسانيته؟ انتقل الإنسان من أتمتة إلى سبرنة الإنتاج وها هو يتجاوز ذلك بسرعة قصوى*

(أوقفوا العالم..أريد أن أترجل)

صرخة فزع.. انطلقت من افواه الهيبيين.. في ستينيات القرن الماضي.. شخصيا أراها صرخةَ حقٍ مخذول صاعدة من الكابوس الرأسمالي المكيف..الآن ما هو حجم الصرخة ونحن نتمرغ في فزع أكبر من (الساعة الخامسة والعشرون)؟!

(*)

بين الفيل والتنين ونحن نؤسس العالم تخيليا.. بعيدا عن طريق التوابل عبر الإنترنت: أين يتموضع فريدريك نيتشة؟ لا يمكن أن الفظ مفردة (معرفة) حتى تستبق معها مفردة (سلطة)!! هل لأن المعرفة سلطة بحد ذاتها؟! أم لأن السلطة تضع يدها على مسدسها حين تسمع كلمة معرفة.؟!.لذا يسعى رأس المال المالي بتطويق:رأس المال الرمزي والمعرفي: (كل دال يتحدد معناه داخل شبكة العلاقات مع الدوال الأخرى، لكن معنى كل دال لا يوجد بشكل كامل في أي لحظة، إذ؟ ان كل دال مرتبط بمعنى الدال الذي جاء بعده ووجوده يستند إلى اختلافه)..أليس كذلك يا جاك ديريدا....؟ السلطة في غابة الرأسمال الغربي تأخذ أشكالا منظمة وشمولية..وما الطابع الوثني للسلعة إلا راتوبا ضمن تراتبيات الوعي المزيف..هذا ما فضحه رأس البروليتاريا (كارل ماركس).: أن إقتصاد السوق لم يخرج من

أشكال الاقتصاد الحيوانية.ثم سيؤكدعلى: أن الثقافة الغربية سلطوية عنيفة بشهادة معرفية من ميشال فوكو في (المراقبة والعقاب) و(تاريخ الجنون)، ومن منظور آخر يضيف إدوارد سعيد:الاستشراق بذلوا جهودا معرفية شموسها لن تغيب:

*فوكو: أركيولوجيا (حفريات) المعرفة..

*ديريدا: (غراماتولوجيا/ علم الكتابة)

* إدوارد سعيد بفتح فتوحه (الاستشراق)

لكن هؤلاء الكبار وباعتراف منهم هم محض عيال على مأدبة جنون فريديك نيتشة.. ربما لأن نيتشة... هو أول من كسر النسق الإفلاطوني وتقاطع معه...

(*)

..منذ أن جاهر أفلاطون..أن المعرفة هي(إرادة الحقيقة)، والكل يسبح بحمد هذه الإرادة الحقيقية المطلقة، ويرى في المعرفة، التجسيد الحي لهذه الكلية..واستمر التسبيح الإفلاطوني حتى القرن التاسع عشر؟!هل مبعث الافتتان هو اشتغال إفلاطون، على نظرية (خلود النفس و..التذكر)..؟! ضمن فلسفته الوثنية، التي أغوت القديس أوغسطين على عقد زواج بين محرمين..من خلال تفعيل موجب اتصالي لاهوتي بين وثنية إفلاطون ومسيحيته؟!*وهنا أتساءل..هل يعقل أن لسان إفلاطون لم يصب بالجفاف طوال هذه القرون؟ أليس علينا:التساؤل عن (شكل الوجود النصي الذي يكون عليه النص)؟ وأن نتساءل عن وسيلة تكرار إنتاج حضوره في حضرة أفق إستجابتنا؟ لسان إفلاطون تحقق وجوده

في اللغة، بامتياز الفرادة والاختلاف..هل اكتفى اللسان الإفلاطوني بذاته الناصة؟ خصوصية شكل وجوده؟ أم ثمة ما يتجاوز هذه الذات النصية، في تخوم خارجها؟

وقبل الانتقال إلى حكمة زرادشت، أغزل السؤال التالي: إذا كان النص نسيج كلام حي/ حيوي مفتوح على اللانهائي/ المتعدد..في أي مرآة من مراياه..سألتقط: هوية المعنى؟ نيتشة توصل بطريقة، لامثيل لها، إلى تفكيك هذه الإتصالية القارة: الإرادة ـ ـ ـ ـ المعرفة

ورأى في الإرادة: اسماً ثانيا للسلطة، وضمن التراتبيات فإن الراتوب الأول هو: الإرادة/ السلطة.وفي الراتوب التالي: تتموضع المعرفة..

ديالكتيكيا: نيتشة اعتبر المعرفة: نتيجة...أما الإرادة فهي: السبب.

خارج هذا التصور يؤثل نيتشة تصوره الخاص، معيدا الحقيقة لمنشئها الأول: للصيرورة وتحديدا حاجة الإنسان لأسباب الحياة العملية هي القوة الدافعة للمعرفة ولاشيء غير ذلك.من هنا وحسب الجنون الجميل.. يهمسنا منخذلا في لحظة شفق زواله الجسدي: (الحياة حتى تسمو بنفسها تحتاج إلى أخطاء كبيرة..لا إلى حقائق صارمة) هذه الهمسة النيتشوية الصارخة..أشبه بوصية سارع إلى تحقيقها لا الثلاثة الآنفي الذكر: فوكو/ ديريدا/ ادوارد سعيد..

الساعي إلى تحقيق وصية نيتشة ومن محبرة قلب نيتشة مجنون آخر، هو الطبعة الرومانية المزيدة، أعني الفيلسوف (سيوران) المتمرد على نيتشة نفسه رافضا المفهوم النيتشوي (ما بعد الخير والشر) وبشهادة سيوران هو مفهوم سابق لأوانه فالإنسان (لم يتهيأ بعد لمرحلة ما بعد

المانوية لما تتطلبه من وعي وإدراك يكادان يخرجان الإنسان من التاريخ نفسه)..وحده سيوران من اكتشف أن (للتاريخ مجرى يسير فيه ويتبعه ولكن لا معنى له)..يكفي أن سيوران في كل كتبه ينحت الجملة التالية بصيغ شتى(أن البشر الحديثين عاجزون عن تبين الفردوس في قرارة طبيعتهم وهم على عجلة من أمرهم..لذلك تحتم عليهم إسقاطه على المستقبل/ سيوران)...هذه المهيمنة الوامضة، كابدها الروائي الجزائري (رشيد بو جدرة)..واستعملها بنفس وظيفتها كمهيمنة في رائعتة الروائية(ألف وعام من الحنين) فالبحث الذي يجريه (محمد عديم اللقب) ثم يتوصل عديم اللقب أن (المنامة) ضالته المكانية المنشودة هي في بيته وليست في أي مكان آخر، وكذا الحال مع(الخيميائي) رائعة (باولو كويلو)..لماذا البيت؟ لا أنتظر إجابة بل يبزغ في ذاكرتي الشاعر روبرت فروست: (البيت هو المكان الذي يجب أن نقبل فيه).. البعد النيتشوي الثاني..يصوغ جرسا ثقافيا نخبويا..يتمثل في كتب نيتشة (أفول الأصنام) و (أصل الأخلاق) و (إرادة القوة) يرى في انتشار الثقافة بين الجماهير: بمثابة اجتياح بربري للعقل الألماني؟! ويتلخص الفعل البربري برؤيته للثقافة..كمروض للشجعان والأرستقراطية الألمانية؟!!

هل من هذه الكتب..انطلقت عقارب الصليب المعقوف؟! أم من تنضيدها التحريفي؟!...ألم يدعي الدكتور(باولمر)..موجها دعوته للمثقفين الألمان النازيين: علينا أن نبحث عن غير المطبوع من كتب نيتشة؟؟ وما لم ينشر هو التزييف الذي أجرته (اليزابيث فوستر)أخت نيتشة، حيث(اجترأت على تلفيق بعض شذرات من رسائله وتعليقاته

لتضمها في كتاب (إرادة القوة) وتبرز هذا الكتاب كأنه وصيته الأم أووصيته الأخيرة)

(*)

ماركس/ نيتشة: اتصالية التجاوز

الإنسان هو التجاوز: ماركس

الإنسان يجب أن يتجاوز: نيتشة

مفكران ينظران للإنسان عبر حركية التجاوز

ماركس يعرف الإنسان بالتجاوز..أنه يطمئننا أن الديالكتيك متوفرٌ ضمن سيرورة الذات الإنسانية..

نيتشة يدفع الإنسان بقوة الوجوب إلى التجاوز..هل ثمة تعالٍ أرستقراطي في منظار نيتشة؟

ماركس..يعدنا بالوقت الحر

نيتشة يقودنا إلى السوبرمان....هوليود التقطت السوبرمان وجسدته في (رامبو) وهكذا تراجعت قيمة الاسم الشعرية.. الآن..حين تلفظ اسم رامبو يقفز سلفستر ستالون بعضلاته ورشاشته المميزة كمخلص للشعوب من وديان أفغانستان وأنفاق نيويورك وأخواتها من مدن الولايات المتحدة

ثم جسدته في منقذ آخر هو (سبايدرمان)...

❖وقت ماركس..

لأن اتصاليته مفعّلة مع الإنتاج البضائعي، فتاريخيا علينا النظر إلى قانون

القيمة كقانون مؤقت..فالقيمة، لا حضور لها عند فجر التاريخ..لم تكن هناك بضاعة..قيمة الشيء تتوقف على مدى استعماله حتى استعماله كان أقرب إلى الهبة، منه إلى نتيجة عمل إنساني..تقسيم العمل، مع تطور البنية الاجتماعية، هو الذي أدى إلى تركيم الثروات المادية التي طفقت بمرور الوقت تتكافأ تدريجيا مع كمية العمل المبذول فيها..في المجلد الثالث من (رأس المال) نقرأ ما يلي: (إن الارتفاع في إنتاجية العمل يعكس بالتحديد تقلص الجزء الحي من العمل، وتمدد الجزء المجسد، إنما بطريقة تظهر أن المجموع الكلي للعمل المبذول، في البضاعة يتناقص بوجه عام)..

نحن هنا أمام مفهومين للثروة عبراتصالية تضاد..

*المفهوم الرأسمالي: يقدم الثروة على هيأة قيمة مالية (رأس المال) وفيها تتفعل اتصالية النتاجين: المادي/ الروحي للنشاط الأجتماعي

*المفهوم الماركسي: ضمن مفهوم ماركس في تناوله للمبادىء الرئيسة لنقد الاقتصاد السياسي/ المجلد الثالث من كتاب (رأس المال).. يرى ماركس: (الثروة الحقيقية هي القوة المنتجة المتطورة لجميع الأفراد) رغم الثورات المغدورة، رغم الاحتراب والاصطراع في حركات التحرر، والنكوص والاحباط والتشدد الأصولي..وآليات التكفير والتقطيع والتهجير...رغم المحذوف من النص والمسكوت عنه..

كقارئ عراقي لا أتوقف عن حلم جماعي..أحلم ببرهة خضراء تشمل قوى الخير والسلام جميعا في نصاعتها...يحل (الوقت الحر)..محل (وقت العمل) وتحل النتاجات محل البضائع والخواص الاستعمالية للنتاجات محل القيمة التبادلية..وهكذا تسقط الثروة المادية في صيغة

قيمة لتحل مقامها ثروة القوة البشرية..وتختفي غاية الرأسمال الإنتاجية، أعني (التوليد الذاتي للرأسمال) ويكون البديل هو (الرصيد الأساسي) أعني تطوير افراد المجتمع على كافة الأصعدة..وهكذا ينتهي عهد (الطلاق الذاتي) و (الضرورة) لتشرق شمس (التوكيد الذاتي) و (إدراك الضرورة) اعني الحرية...وهكذا سنؤمن (أن قانون الوقت الحر كناية عن نفي ديالكتيكي لقانون القيمة وهو في ذات الوقت يمثل نتيجة منطقية وتاريخية له..)

وهنا أسائلني..قبل مساءلة الآخر الذي لا أكتمل إلا به ومن خلاله، أي اتصالية خرافية آسرة بين البؤس واليوتوبيا؟! أي اتصالية تكاملية عجيبة؟ البؤس يحتاج اليوتوبيا..ليفر من (الآن) إلى (هناك) والمسافة بين الآنية وبعد حين..أراها برهة للتدريب على الأمل، اليوتوبيا ترى في البؤس مادتها الإنتاجية، فتشتغل عليها لتنتج لنا الأجنحة..ولولا اتصالية التكامل: اليوتوبيا/ البؤس..لتخثرت المجتمعات الإنسانية..في انغلاق لحظتها القارة..بكل ما في الإنسان من قوة صهيل..يرفض هذا الإنسان وصايا الحكمة وهي تسلفن، لنا، علب السعادة الجاهزة، عبر فاصل إعلاني يشع بصور إشهارية مبتذلة مكرورة، هذا الاعتداد..هو الذي يصيّرالإنسان: من دعاة السعادة المتخيلة..والإنسان لا يعاني اضطراباً في الهرمون وهو يعلن على لسان فيلسوف الحدس (هنري برغسون)....(جسمي يمتد حتى النجوم)..علينا هنا أن لا نتقيد بالمعنى القاموسي لمقولة برغسون.. بل نتعامل معها وفق مديات الانزياح.نحن هنا إزاء اتصالية مركبة: نفس/ مجتمع ـــــ خاص/ عام

وهنا أقترض من الفيلسوف كونيلوس كاستورد‌ياس حيث يقول (أن

سيرورة التأسيس المجتمعي للفرد، أعني مجمعة النفس هي، بنحو لا ينفصم سيرورة تكون نفسي أو تكون خاص، وتكون اجتماعي أو تكون عام، إنها التاريخ الذي تغيرت على امتداده النفس وانفتحت على العالم الاجتماعي التاريخي، بناء على عملها الخاص أيضا وإبداعيتها الخاصة).. نعم..إنني قارىء عراقي.. تذوقتُ فكرة السعادة لا السعادة بحريرها الوارف ورغيفها الساخن وبابها الذي لا يطرقه غير صديق أو محتاج، إنني قارىء عراقي دربته خيباته.على عدم التخلي عن قواه الجوانية الدافعة.. أردد دائما مع الشاعر العراقي (بلند الحيدري).. (أحلم كي أرفض أن أولد في محرار

فالليل والنهار

لن يسألا أين أنا

في الثلج أم في النار؟)

❖مكتبة البحث..

*أدموند هوسرل/ تأملات ديكارتية/ أو المدخل الى الفينومينولوجيا/ ترجمة/ تيسير شيخ الأرض/ دار بيروت/ 1958

*سماح رافع محمد/ الفينومينولوجيا عند هوسرل/ دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر/ دار الشؤون الثقافية/ بغداد/ 1991

*هوسرل يأورب..الفلسفة الأغريقية..مجتشا جذورها الهندية..التي نقلت من الهند الى ألأغريق...

تراجع في الخصوص مؤلفات المفكر علي زيعور، وكذلك كتاب

فاسيليس جي فتساكس/ إفلاطون والأبانيشاد لقاء الشرق والغرب/ جدل المقدس في المنظور الفلسفي الهندوسي ـ اليوناني/ ترجمة سهى الطريحي/ مراجعة د. طه جزاع/ دارنينوى/ دمشق/ 2010

*بخصوص مصطلح (العالم الثالث)/ بيتر ورسلي/ العوالم الثلاثة/ الجزء الثالث/ ص92/ ترجمة د. صالح جواد الكاظم/ دارالشؤون الثقافية/ بغداد/ 1987

*حول نابليون/ جون نيف/ الحرب والتقدم البشري/ الجزء الثاني/ ص 437 ـ 438/ ترجمة محمد عبد المجيد رؤوف ـ فارس فرج قصيرة ـ إبراهيم جلال إبراهيم/ دارالشؤون الثقافية/ بغداد/ 1991

*الأتمتة: هي الثورة العلمية ـ التكنولوجية ـ الصناعية الحديثة...

السيبرنتيكيا: علم تطبيقي يحتوي طائفة منوعة من العلوم الطبيعية والفنون، من خلال السيبرنتيكيا بات دور أي قوة منتجة لا يتوسع اليوم إرتكازا على الفيزياء والكيمياء وحدهما، بل وعلى البيولوجيا أيضا إلى جانب المنطق الرياضي وعلم الأعراض والعلوم المشتغلة بالفيسيولوجيا والعصبيات الدقيقة والسيكولوجيا ومنهجية التفكير..إنها الطرائق السيبرنتيكية عينها مهدت الطريق امام التطبيق الاجتماعي لعلمي الاجتماع والاقتصاد السياسي..إن كان لدينا ثمة إيمان راسخ لا تشوبه ذرة شك، فهو ايماننا بأن مستقبل التكنولوجيا مقترن بالسيبرنيكيا

وها هي الأجهزة الإلكترونية تؤكد ذلك وثورة الاتصالات التي تبوأت في الرأس كأعضاء للعقل البشري/ حسب ج ـ فولكوف.

*سيوران..استفدنا من مؤلفاته التالية:

*المياه بلون الغرق/ ترجمة آدم فتحي/ دار الجمل/ 2003

*المعنى والغضب/ منشورات الأختلاف/ 2010

*تاريخ ويوتوبيا/ ترجمة آدم فتحي/ الجمل/ بغداد/ 2010

*المكتبة الهيغلية..إستفدنا من:

*عبد الرحمن بدوي/ حياة هيغل/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت/ ط1/ 1980

*أريك وايلي/ هيغل والدولة/ ترجمة/ نخلة فريفر/ دار التنوير/ ط3/ 2007

*العقل في التاريخ/ المجلد الأول/ من محاضرات في فلسفة التاريخ/ ترجمة وتقديم وتعليق/ الأستاذ عبد الفتاح إمام/ التنوير/ ط3/ 2007

*سلامة كيلة/ التصور المادي للتاريخ/ من هيغل إلى ماركس/ التنوير/ ط1/ 2010

*بخصوص الفلاسفة فسروا العالم../ الصفحة ألأخيرة من كتاب فريدريك إنجلس (لودفيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية)./ دار التقدم/ موسكو/ 1968.في الصفحة الأخيرة من الكتاب يثبت انجلس عشرة مقولات فلسفية لكارل ماركس منها المقولة التالية:

(كل الفلاسفة فسروا العالم..لكن المهم تغيره)

*مهدي عامل/ في التناقض ـ دراسة أثر الفكر الأشتراكي في حركة التحررالوطني/ القسم الأول/ دار الفارابي ـ بيروت/ دار النهضة بغداد/ أيلول 1973

*الدكتور طه حسين/ قادة الفكر/ دار المعارف المصرية/ ط1/ 1964/ فصل الإسكندر/ ص113 ـ 122

*نجيب محفوظ/ ثرثرة فوق النيل/ ط السادسة/ دار الفجالة/ مصر

*أبو الحسن بن رشيق القيرواني/ العمدة في محاسن اللغة وآدابه ونقده/ ج2/ ص293/ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد/ 1972

* جورج بليخانوف/ تطور النظرة الواحدية الى التاريخ/ ترجمة محمد مستجير مصطفي/ دار الطليعة/ بيروت/ الطبعة الثانية/ ايلول1975

*تيري أيغلتون/ مقدمة في النظرية الأدبية/ ص70/ ترجمة إبراهيم جاسم العلي/ مراجعة د. عاصم إسماعيل إلياس/ دار الشؤون الثقافية/ بغداد/ 1992

*رشيد بو جدرة/ ألف وعام من الحنين/ ترجمة مرزاق بقطاش/ دارأبن رشد/ ط1/ 1980

*بخصوص الفاصل الإعلاني..أرى أن إستراتيجيات الفاصل الإعلاني، وصلت منتهى الابتذال الأخلاقي في إحدى الفضائيات إعلان عن كاميرا...تسقط الكاميرا من يدي حاملها لتستقر بين ساقي حسناء..

اللقطة تركز على ساقيها حيث تستقر الكاميرا بين فردتي كعبها العالي.. لقطة ثانية: يد تفتح الكاميرا لتخرج شريط الفلم...هنا يتم كسر أفق توقع المشاهد!! حيث يستخرج من حيز الفلم: بكيني اسود؟؟؟ لا تعليق مني كقارىء..سوى:؟؟؟ لست.....ولكن سيحولنا كآباء وأمهات وأخوان وأخوات هذا الأبتذال الإعلاني.بالضرورة إلى متشددين ومتشددات..

*كورنيلوس كاستورياديس/ تأسيس العالم تخيليا/ ترجمة وتقديم: ماهر الشريف/ دار المدى/ ط 1/ 2003

*بلند الحيدري/ حوار عبر الأبعاد الثلاثة/ دار الشؤون الثقافية/ بغداد/ منتصف سبعينيات القرن الماضي